

ISHAYYIQ

LAYALI MILAH

R

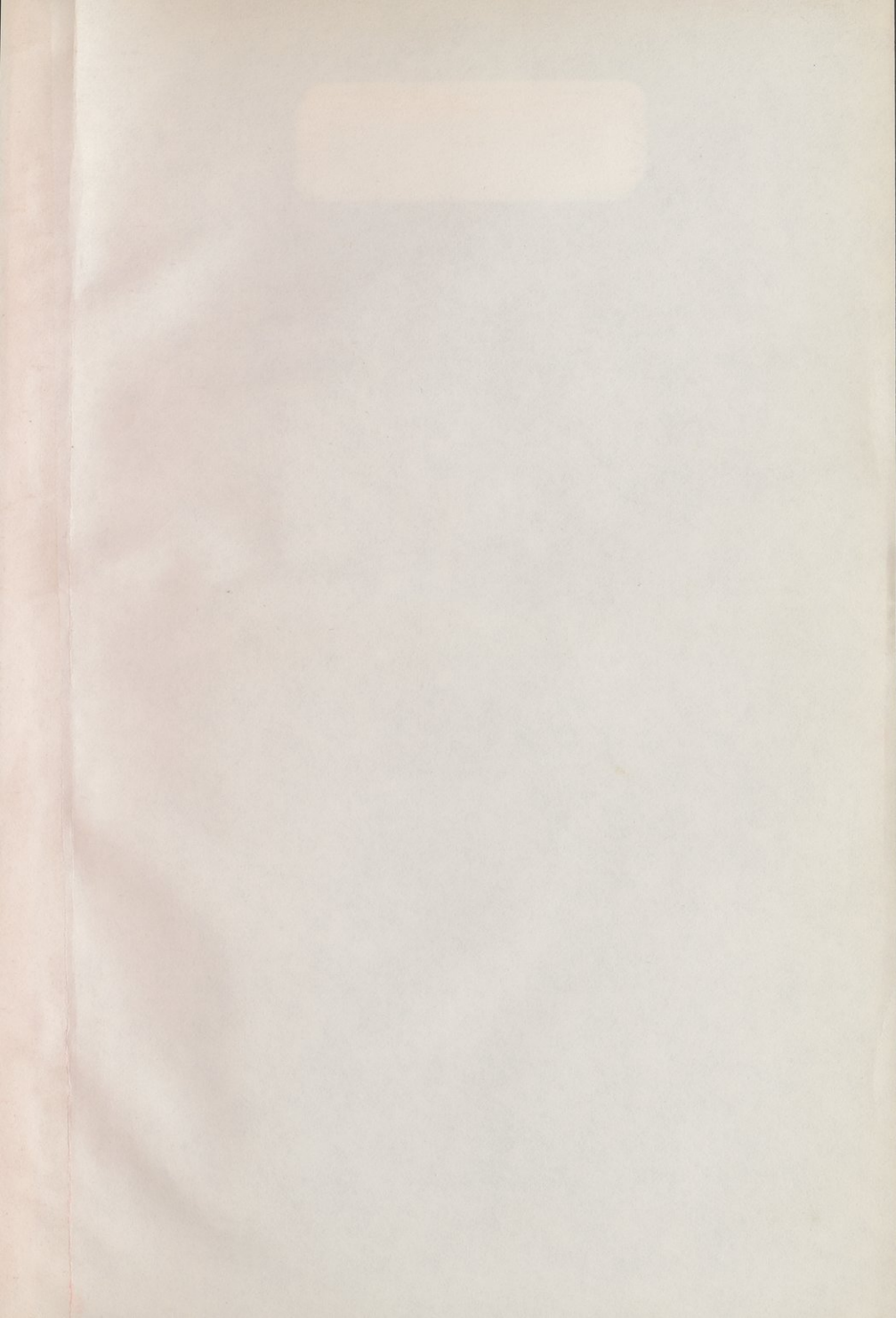
[illegible]

Princeton University Library



32101 081693457

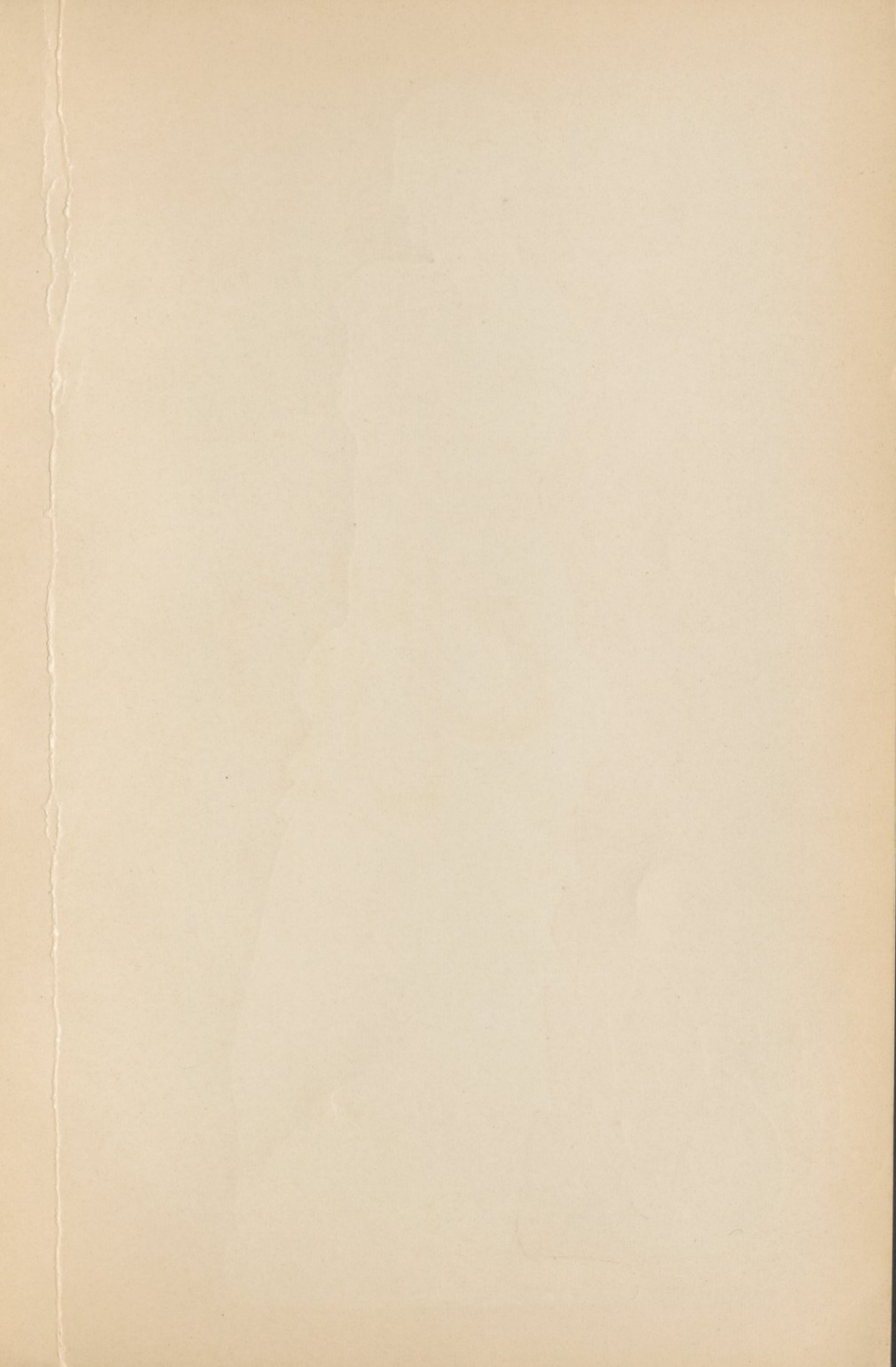
32101 081693457



لیکھو اس حقیق



ایک مہر



Ishayiq, Malihah

ملیحه اسحق

محمد زکی ابو ۵۵۹
A. Z. Alushady

Layālī milāḥ

لیالی ملّاح

رقعة ساجدة

مكتبة
المطبعة
العثمانية
الاسلامية

المكتبة

مكتبة
المطبعة
العثمانية
الاسلامية



المؤلفة

الله

إلى التي سكبت في روحي عصارة الحيوية في احتمال
أعباء الحياة .

إلى التي أخذت بيدي إلى المسالك المستقيمة في الحياة ،
حيث لا هادٍ ولا دليل .

إلى التي علمتني أن أجعل العقل رائدي في كل ما أعمل .

إلى التي أَرْضَعْتَنِي حُبَّ الْإِنْسَانِيَةِ .

إلى أمي ...

محبتي

من آهات القصور

[أرفع هذه القصة إلى البائسات المظلومات اللواتي ضمنهن
قصور التعاسة فلهن يجدن فيها بعض الترفيه والتسلية !!]

قال شاعرنا الجواهري بيض الله وجهه :

وداعاً ما أردت لكم وداعاً
ولكن كان لي أمل فضاء

إي والله ...

لا أدري ما الذي دفعني لتلبية دعوة صديقتي « ليلي »
لحضور حفلتها الميلادية . وقد كنت يومئذ أشعر بتعب
شديد وفي أمس الحاجة إلى الكرى . أهو إلحافها الشديد ؟
أم أن القدر خبأ لي ما ليس في الحساب ؟ . وعلى ذلك
ذهبت والتعب قد أخذ مني مأخذاً . . . فألقيت الدار تعج
بالآنسات ، وتموج بالسيدات اللاتي يتمنين كل أيامهن
أعياد . فتراهن فرحات باسمات ، تداعب إحداهن
الأخرى . أما أنا فانزويت كعادتي في ركن بعيد عن
الضجيج التماساً للراحة ، وإذا بي فجأة قبالة وجه جميل جذاب
يشع سحراً وألماً في آن واحد .

(RECAP)

2271
504645
356

65-14

فأسرارير محياها ، تخفى ما يكنه قلبها . وحصافة عقلها ،
واتزان سيرتها ، جعل وجهها ، كما قلت ، ينبثق فرحاً وألماً في
آن واحد ، فلا يظهر ما يكتم ، ولا يكتم ما يظهر ! . وهى
فتاة حلوة التقاطيع .. جذابة الملامح .. بديعة الانسجام ..
مشوقة القامة .. لها وجه أقرب ميلاً إلى الأتراك ، تعلوه
عينان سوداوان ينفث منهما السحر نفثاً . ترتدى ثوب برد
أسود شفاف يكسو جسمها ، ووشاح حالك السواد
(جرجيت كويتى) يغطى رأسها ، مما زاد وقارها هيبة وعظمة .
فشعرت بدافع داخلى قوى يحفزنى على الاطلاع بما يكنه
قلب هذا الملاك ، الذى هبط إلى الأرض فى هيئة بشر ،
فتقدمت إليها بوجل وشىء من الحياء والخجل .. والابتسامة
تعلو شفقتى قائلة :

— مساء الخير .

فردت :

— مساء الخير .

— لم لا تشاركين الرفيقات فرحهن وهن محتفلات
بعيد ميلاد صديقتك العزيزة « ليلي » ؟ . هل جدّ لك جديد ؟
ولم اتخذت هذا الانزواء مكاناً لك ؟ .

— ماذا يهمك يا آنسة من أمرى ؟

— عفواً يا دادة. أرانى متطفلة فى سؤالى هذا... إلا
أنى حدثت أن لديك مهمة أو شاغلك شاغل . فقلت عسى
ولعل أحل عقدتك ، أو أساعدك فى إنجاز مهمتك .

— شكراً .. يا عزيزتى . وآه منك ومن أسئلتك هذه
التي قد هيّجت ما شاء لها أن تهيج من لواجمي .. قلبي المكلوم
وفؤادى المحروم ، وأعادت سجل أيامى الغابرة التي سوّدها
القدر فى وجهى ، وضعيع أملى ، وخيب رجائى ، وقبر مستقبلى
وهو فى مهده ، وعمى بذلك بصيرتى وبصرى ، فقد ولى منالى
من حيث لا رجعة !.. حيث قضاء الله ، وظلنى الناس ،
وظلمت نفسى أنا الأخرى . ولا أدرى يا آنسة ما هى حكمة
الرب فى قضيتى ؟

قالت ذلك بلهجة فيها الالتئاع . وارتعشت أعصابها ،
وتوردت وجنتاها ، وقامت من مقعدها . وأخذت تسير
ببطء وخشوع ، فلحقت بها متبعة خطواتها ، حتى انتهى بنا
المطاف إلى غرفة فى الطابق الثانى من الدار ، خالية من
المدعوات .. فجلسنا منفردتين . ثم التفتت إلى قائلة :

— أراك يا عزيزتى تهتمين بأمرى .. فما بالك ؟ .

.. تعلين يا سيدتى أن حب الاستطلاع غريزة فى كل
إنسان ، وفئة مثلك ، لا يهمنى أنا وحدى أمرها ، بل يهمنى

كل إنسان نبيل يحمل بين جنبيه قلباً رقيقاً . ولذا أود
أن تقصى على قصتك .. وما هو قضاء الرب وظلم الناس
وظلم نفسك ؟ وإن وجدت من إفضاء ذلك عسراً ،
فلا داعي لذلك .

فأردفت قائلة .. وقد طفحت في عينيها دموع تترقرق :
— آه يا دادة ... أقول : قضى الرب وجعلني أجحد
فضله ، وأنكر نعمته ، وأشك في عدله . أنظر ما ذنبي ؟
ولماذا ظلمني القدر .. وابتلاني الرب بهذه النكبة ؟ ألم أكن
عبدة من عباده وهو بعباده رحيم ؟ . أو لم أكن بشراً من
بشره وهو ببشره رؤوف !! ...

يا دادة . إنه ابن عمي وخطيبي وهو الواحد لأهله . أفرغ
أبواه كل ما يملكانه من متع الحياة في سبيل تربيته والمحافظة
عليه ، وانتظار يوم زفافه ، ويوم أن يرزقه الله ذرية تحفظ له
النسل .. وإني .. آه ...

إني الوحيدة لأهلي .. مات أبي وعمرى ستة أعوام ،
فتبناني خالي ، وصرف على ما صرف . وبعد مضي سنتين
وافاه الأجل المحتوم على كل بشر . فتبناني عمي وهو والد
خطيبي ، وانتقلت إلى داره وعمرى ثمانى سنوات ، وكان
ابن عمي يزيدني ربيعاً واحداً ، وكنا بحكم عيشنا وبحكم ظروفنا

نلعب ، وندرس ، ونلهو سوياً . اثنين لا ثالث بيننا . .
هو . . وأنا .

وبمرور الأيام ، وتوالى الأشهر والسنين ، توثقت عرى
المودة والحب بيننا .

وهنا سادت بيننا فترة صمت طويل . لم نسمع خلالها
سوى انفاساً تتردد ، ثم أردفت قائلة :

— وهكذا نرى الحب .. كما نرىنا .. وامتزج بلحمنا ودمنا .
أما كيف كنا نقضى أوقات فراغنا ، ويمنى كل منا الآخر
يوم الزواج السعيد . فحدثني عنها ولا حرج !!

حتى حل ذلك اليوم البهيج يوم أن استلم كل منا شهادته ،
وأنتهى دراسته ، فقد تخرج ابن عمى طياراً ، وأنا معلمة ..
وكانت حفلة بهيجة ضمت الصديقات والأصدقاء .. فأخذوا في
لهو وفرح وسمر حتى الهزيع الأخير من الليل .. وكان عمى
يبنى الحاضرين . وهم بدورهم يهشون على نجاح ابنه وابنة
أخيه .. والكل يتأملون يوم زفافنا . ولم يمض شهراً واحداً
حتى فاتح ابن عمى أباه طالباً الزواج بي .. وكم كانت دهشة عمى
وفرحة عظيمين حينما علم بأنى سأكون خطيبة ابنه وشريكه
حياته ! وفى التو أحضر « المسأذون » ، وعقد القران فى حفل



ويعني كل منا الآخر . . . يوم الزواج السعيد

كبير أطبق شهرته الآفاق .. أما كيف قضينا شهر العسل فعند
أهل القاهرة الخبر اليقين ١ .

وهنا أوقدت سيجارة وراحت تنفث دخانها بأسلوب
لا يتصوره إلا الفنيون من شعراء وأدباء وموسيقين كأنها
تخاطب دخان السيجارة بلهجة العتب والحرمان .. وراحت
تكمل القصة قائلة :

— يا للسنين التي مرت ، فلم تترك لي سوى لوحة ممضنة ،
ولم تخلف لي سوى وحشة وظلمة أحيا بهما لأموت بين الفينة
والفينة ، ما أشبهني يا صديقتي .. بسائح تاه في بيداء الحياة
المقفرة الجرداء بلا ماء ولا رواء ولا ظل ولا ثمر !

وتوالت أيام الفرح ، والبشر ، والسعادة ، والسرور ، أشهر
معدودات .. وذات يوم فاجئني زوجي بأنه سيوفد في مهمة إلى
لندن .. للتدريب مدة ستة أشهر فقط .. فوخزني قلبي ،
وأحسست حادثاً غريباً يوشك أن يحل ، فقلت له :

— كيف تطيق فراقى يا صالح ؟

— إنه أمر حكومي لا مناص منه .

— وهل ستكتب إلي كل يوم رسالة .. أرجوك يا صالح
(ثم انفجرت باكياً) . وأخذ صالح يخفف من لوعتي ويهدئ
من روعي . ثم استطرد قائلاً :

— ماذا يحزنك يا عزيزتى .. أتعتقدين أن الرباط الذى
يربطنا سيضعف وتنقسم عراه على أثر التبعاد .؟ أنا يا لحاظ
ذلك الزوج المخلص الذى يتفانى فى حبك ، أجل يا لحاظ ..
علام الخوف ؟ ولماذا البكاء ؟ إن حبنا ممزوج بدماءنا ، مستقر
فى أعماق قلوبنا .. من يستطيع أن يفك عرى هذه الرابطة
الوثيقة ؟

هذا الحوار يا فتاة الإنسانية هو الذى كان يدور بيني
وبين المغفور له زوجى .. ثم قالت :

— آه يا آنسة ، وألف آه .. كم كانت فرحتى عظيمة حين
وفى المرحوم بوعده وبرّ بعهدة .. فأخذت رسائله تترى علىّ
يوم إثر يوم مما خففت علىّ لوعة الفراق وألم البعاد !!!
وذات يوم مشؤوم استيقظت مبكرة على أثر رؤية رأيت
فيها صالح ، وهو يودعنى الوداع الأخير قائلاً : إني ذاهب
بلا رجعة .. فالوداع يا لحاظى ، (المكتوب على الجبين ،
لازم تشوفه العين) .. فناديت عمى .. وما زالت الدموع
تترقق فى مقلتى .. فصحت مذعورة خائفة مرتجفة ،
وقصصت عليها الرؤيا .. خففت من لوعتى ، وبددت من
شجونى .. ولم تمض ساعات إلا وقد طرق الباب طارق ، ينعى
إلينا زوجى العزيز . فإذا الرؤيا تتحقق .. وإذا به قد ذهب

بلا عودة .. إنه مات ، إنه سقط من طائرته ، وضاعت حتى
جثته ، وذوى شبابه ، وذويت أنا الأخرى .

قالت ذلك وأجهشت بالبكاء ، وشاركتها أنا الأخرى
بكاءها ، ثم تمايلت أعصابي وكبحت اضطرابي وقلت لها :
— يا لحاظ ! .. استغفرى الله واستعنى بالصبر فهذه

حكمة الرب . ولا اعتراض على حكمته !!

وأخذت المنديل وكفكت دموعها ، وظللت أهدىء من
روعها حتى عادت إلى حالتها الطبيعية ، وسألتها زيارتي متى
شعرت بضيق . ومنذ تلك اللحظة توثقت الصداقة بيننا .. ثم
ودعتها ، وأنا ساخطة على تلبية هذه الدعوة ، ولا أدري
ما الذى دفعنى إلى تليبيتها ؟

هذا سؤال طالما وجهته إلى نفسى فلاشرك معى القارىء
العزیز وهو : « على عاتق من يقع ظلم هذه المسكينة ؟ » .
ترى كم من أكوخ ملؤها السعادة ، وكم من قصور ملؤها
التعاسة !! فى السعادة إسماً . ويا للشقاء فعلاً ...



فني دنيا انخيال

[إلى الطامحين والطامحات... لا إلى الطامعين والطامعات]

أكتب، ولا أدري ما سيقودني محور الحياة لأكتب..
وطالما كانت ولم تزل الحياة مدأ وجزراً فأقع بين حيرة
من مدها وجزرها.. فطوراً أرتفع وما ارتفاعي إلا مد
الحياة.. وطوراً انخفض تبعاً لمشيئة الجزر الذي حدا بي إلى
الانخفاض.. والله ما أراني إلا حائرة مرتبكة. لو كانت الحياة
مدأ فقط أو جزراً فقط لارتاح من عنائها البشر المساكين،
ولكن الحياة مد وجزر، فكلما ارتفع الإنسان بمد حياته
سواء أكان رفيعاً أو وضعياً لم يلبث أن تقوده سنن الحياة إلى

الجزر فتتخذع نفسه من جراء الهبوط
والصعود، إلى أن يقوده الأجل الذي
هو في انتظاره وانتظار كل واحد منا..

وهكذا يستمر ارتباكى وحيرتى حتى
يعودا بي أو أعود بهما إلى طبعي
الهادئ الساكن الذي يدفعني أمام كل
أمر من أمور الحياة.. ومهما يكن





أيها القارئ الكريم فلا أريد
أن أضيع وقتك بحديث المد
والجزر ، فهلم بنا إلى خليج
الحياة سواء أكان مد الحياة
أقصاه أو جزرها أدناه ..
هلم بنا ، ودعني أحدثك عن
رؤيتي وأسبح بين عباب الموج
ولأنفق معك إذا ما هزرت
حبل النجاة إسحبه وانقذني .
يا ويلتاه ماذا أرى !

حيوانات عجيبه غريبة ، هنا شجرة الدر ، وهناك شجرة اللؤلؤ
ذات العساليج المتدلية ، وذاك نوع خالص من البرلنت
لا تشوبه شائبة . وقادني النسيان حتى سهوت أن أهز الحبل
فما كانت من شيمة أخى الإنسان إلا أن يقطع حبل النجاة
بيده فعدزته لضعف عقليته ، ولا أدري هل تعتمد قطعه !
أم أكلته الميهام المالحه فانقطع ! وطالما كان الشك ملهوساً
ومحسوساً ، فالعذر مقبول فى كل أمر من أمور الحياة ،
وهكذا ظل صاحبي ينتظر وأنا بين الموج .. وما أشد فرحى ،

وأعظم اغتباطى ، حينما رحبت بى الحيوانات العجيبة ، وشاء
أحد العرايبد القرنية أن يمتحننى فلتف حول ساعدى الأيمن
عقد اللؤلؤ ، فذهلت وتاه عقلى ، وزاغ بصرى ، وإذا بى
أقاومه بلطف ، فما كان من العريبد إلا أن مدّ ذيله واستخرج
من فروته المشتبكة وثيقة الخلاص فدفعها إلىّ وهو يقول :

— هذه وثيقة تخلصك من شر الحياة .

ف عجبت لقوله ، وسألته وأنا خائفة :

— أللحياة شر يا سلطان العرايبد ؟

— لم لا يا فتاة الانسانية !!

— الله أكبر ... من أين جئتنى بهذا الاسم

يا أيها السلطان ؟

— سيأثم على وجوههم .

فشكرته ... وقويت عزيمتى ، وأردفت قائلة :

— إن الذى يغدق^ه بخير الحياة .. صدقنى .. لا يبتلى

بشرها حتى لو خائته الأمانى !

وما أن سمع قولى هذا العريبد المسائى حتى التف فى حركة

لولبية جانبية وأخرج درة سألته ما شأنها :

— إنها تعينك على الحياة (وكأنه يريد أن يمتحننى

أطامعة ؟ أم طامحة) .

— شكراً .. أكرر شكري لك يا سيدى .. إن بركتك
ووثيقتك تكفيانى .. فلا حاجة لى بها .

وما أن سمع قولى إلا وباركنى وحملنى على ظهره لينخرجنى
إلى سطح البسيطة .. فوصلت بسلام .. واختفى !

وكان قلبى لا يزال يخفق بشدة لما نالنى من ذعر فبحت
لأخى الانسان بما اعترانى فى مد الحياة .. وحدثته عن الهدية
التي قدمها إلى سلطان العراييد .. فلامنى على رفض الدرة
ورجاني أن أترقبه ليغوص ثانية بدوره عسى أن يملأ محفظته
التي أعدها لهذا الشأن حتى يصبح مليونير العالم . فرجوته
أن يكف عن طمع الإنسان الذي يقوده لا محالة إلى
التهاكة .. فزجرنى ، وهبط ، لا إلى خليج الحياة ، بل إلى
بحرها وسلهني جبل النجاة ! ثم مضت ساعة وأعقبها ساعات ،
وانتظرتة حتى عيل صبرى فهززت الجبل .. فإذا أمامى ذلك
العرييد . وبعد أن حيينته سألته عن أخى الإنسان فهز رأسه
ساخراً :

— طمعه قتله ! فقدمت له عضه الندم !

ورجوت من العرييد أن يعيد جثته فأبى زاعماً أن الحيوانات
الغريبة العجيبة قد أكلته ، وقدّم لى نفس الدرة التي رجاني

قبولها للمرة الثانية .. فشكرته بعد الرفض .. وودعته ، وأنا
أعدو هاربة من دنيا الطمع . فانتبهت فإذا الرؤية خيال .
اطمح ... ولا تطمح ..
فطمحك حياتك ، وطمعك قاتلك ..
اللهم ابعدنا عن دنيا الطمع ..
وقربنا أكثر إلى دنيا الطموح .
ففيها السلام ، وفيها الوئام .. وفيها .. وحدث
ولا حرج ..





افضيلة أم رذيلة ؟

الحياة تافهة ، وبالرغم من تفاهتها تضم بين طياتها من العبر والعظات ما لو تنبعتها في السير ، لما رأينا شيئاً يستوجب أن يسموه بالرذيلة، ولا شيئاً آخر يسمونه بالفضيلة! فان هذه المقاييس العرفية التي اخترعتها الأيام بالنسبة للظروف ستندم حتما فيما لو كان الناس من معدن واحد ولكنهم كما قيل معادن .. ومن المعادن ما يعلوه الصدا ، ومنها ما لا يجد الصدا إلى نفسه سبيلا .

ألا ما أسعد من لا يجد الصداً سبيله إلى نفسه ، وما أشقى
من يجد إلى نفسه سبيلاً !

لا أريد أيها القارئ الكريم ، أن أطيل عليك الوقت
في هذا البحث الممل .. فإني إن تعمقت فيه ألج باباً من أبواب
الفلسفة التي يزغني جداً الولوج فيها .

ويزغني أكثر أن أكون سبياً في إزعاجك معي ..

فلنأخذ في الخوض في موضوعنا رأساً ، فلعله يريح أعصابنا
المضطربة في مثل هذا اليوم العصيب الذي تضعف فيه الصداقة
وتخور العزيمة ، وتزعزع الثقة في أناس جهلتهم فغرفتهم .
وما أراك بمعرفتك إلا جاهلاً طوراً لحسن نيتك وعارفاً أخرى
لتجربتك ، وكما قيل : الناس صناديق مقلعة مفاتيحها التجارب .
تلك يا أخي شيمة فتاة صادقتها ذات مرة في الحياة . فهي
والحق غريبة من غرائب الزمن ، وعجيبة من عجائب الأيام !
أحтар لا أدري : أسميها (فضيلة) أم رذيلة ؟ فإذا أردت
تسميتها فضيلة لا يجد الخطأ سبيلاً إلى تسميتك .. وهكذا
الحال إن أردت تسميتها رذيلة . وحين تلوذ إلى ذات نفسك
وتضع يدك على رأسك مفكراً لحظة في هذين الأمرين
لاستبدت بك الحيرة ، واستهدفت لشتى أنواع القلق والشك
في أمر هذه الفتاة !

لا تتسرع يا عزيزى القارىء.. فعهدى بك كعهدى نى ،
ذو طبع هادىء لا بارد.. ومن كان كذلك ، فالمفروض فيه
التبصر ولو قليلا فى الأمور كبيرها وصغيرها . حيث الشك
إذا أخذ بتلابيب الفكر فإنى أعتقد أنه يؤذى ! وبينى وفتاتى
هذه بحر خضم من الشكوك .. ولا أدرى أيضاً ما هو السبب
فى أن يحاول الإنسان قتل أخيه الانسان .. حتى لو كان هذا
القتل حقاً من حقوقه ، أو باطلا يتشبهت به ، إذ القائم بعملية
القتل يعد مجرماً أمام القانون الانسانى (الضمير) ، قبل أن
يكون مجرماً أمام قوانين الناس !

أما .. جنائيات الأخلاق .. فصدقنى .. طلسم غامض ،
احترار فى فك رموزه أطباء الأخلاق ! فكيف أستطيع
أنا فك رموزه .. لا أدرى !

وسواء أدريت أم لا . فنحن الجنس اللطيف ، لنا من
تصرفاتنا فى الحياة حقيقة ما يجعلنا ، وا أسفاه ، هدفاً للقليل
والقال .. وخصوصا السذج فى يوم جفت فيه مياه العقول ،
بعد أن كانت رطبة .. هكذا حدثتني إحدى المعجبات ..
وجاءتنى بأمثال عن تصرفات « فلانة وفلانة » ، ولما لم تجد أذناً
صاغية انصرفت إلى حديث .. هو نفس الحديث الذى بقيت
فيه منزوية أفكر فى فتاة رجونى تسميتها فى صفة من تلك

الصفيتين ، وأخذت المعجبة تزدري الناس وتحتقر الصداقة
والأخوة . فلما نبهتها إلى خطئها حدثتني ، ليتهما ما حدثتني . .
ماذا أقول في أناس صداقتهم رياء ، وودهم وأخاؤهم
مخاتلة ؟ وماذا عساني أن أقول في أصدقاء يضاحكونني ،
وضميري متقمطر من العيوس ! كبر ياؤهم دون معرفة !
في صدورهم تعصب ولا إيمان . . قلت ما قصتك يا عزيزتي ؟
فأجابت وهي تبسم من غيرة الجنس اللطيف :

— هي فتاة تعرفت عليها وأحببتها وتبادلت وإياها
الصور ، وشاء الله أن يخطبها واحد من الناس ، ثم انصرف
عنها لعجرفة أخلاقها ، علاوة على دماستها ، وخطبني بالذات ،
أتدري ما فعلت ؟ . طبعاً لا .

إنها طبعت نسخاً من صورتي ، ووزعتها على عدد من
الطلاب وراحت تطعنني بأنواع التهم ، حتى استبدت بها
النقمة إلى أن استطاعت أن تفسخ خطوبتي التي كانت أقرب
من الحاجب إلى العين . . خبريني ماذا تريدني أن أسميها :
فضيلة أم رذيلة ؟ ! فأجبته بكل هدوء وسكينة :

— هذا نموذج واحد للصداقة المزيفة . . والأخوة
الكاذبة . . أما بقية النماذج فسل على عنها الحكيم سليمان ليكرر قوله :
إن من مجد الإنسان أن يمر بالإساءة مرّ الكرام .
فهل أدركت مجدك يا معجبة ؟ !

من صور الخيانة

لا أدري ما الذى يجمعنى بأناس لهم من تجارب الحياة ما يساعد على نضوج العقل قبل أوانه . . . وإليك القصة :
هذه سيدة مهذبة لها مكانتها فى المجتمع اللغوى أكثر من النسوى ، فإذا حدثتك بدت حلاوة حديثها خالية من السكر ! يبدو حديثها متقطعاً تعقبه فترات ساكنة . . لا أدري أتشتري الكلام شأن الدلال اللبق لتبيعه بسعر أعلى ؟ أم هو عصر (المودة) الذى تتبجح به بعض الناعسات . . قصد الدلال والجازبية .

لا لشيء تصبو ، بل لشيء تعتقده من باب العظمة ، والعياذ بالله من العظمة . ومهما يكن . . فمن واجبي أن أصغى لحديثها ، مراعاة للأدب ، ومجاملة لحقوق التلذذ ، التى جمعتنى وإياها سنين مضت .

وما أن جلست حتى فتحت حقيبتها وأشعلت سيكارتها ، وبدأت تنفث دخانها بأهة تتبع آهة . . فتملكنى الشرور ، فشعرت أن هناك بركانا قد انفجر ، وهذه بوادر شظاياها . . فكيف النجاة !! وهو قريب منى ؟ ثم انتبهت لاعنة خيالى ،

وتصوراتى ، فاذا البركان هو بركان حديث بدأت شظاياها
تعالى رويداً رويداً فأجبتها :

— مهلاً يا عزيزتى ، دعينى أقدم لك من هذه السجائر .
فردت بكبرياء :

— شكراً .. هذى أحسن .

وبعد أن دار الحديث بيننا على أحدث موديل ، وأجمل
صورة ، شعرت بملها من هذا الموضوع .. قتماديت به على
أهدى أنفاسها الحارة ، وأروض من اضطرابها فقاطعتنى :
— خذى يا فتاة الانسانية عبراً وعظات .

— دخيلك ! كفى عبراً وعظات . فما أقصر العمر لنضيعه
فى قول عديم الرونق والبهاء أيضاً .. قالت فلانة ، وقال فلان ..
أواه من جو الثثرة .

فردت وهى ترمقنى بنظرة فهمت معناها :

— يا لطبعك ! تمزحين فى وقت الجد ، وتجدين فى وقت
المزاح !

فضحكت ضحكة عالية واعتذرت .. فردت :

— كفى يا آنستى .. كفى إننى على أحر من الجمر .

— ويحك ! ماذا تقولين ؟

— أسمعت عن فلانة ؟

— لا يا أختاه .. لا زيدا ولا عمرا .

وهنا انتفضت وكأنها أفاقت على أثر حلم مزعج .. ولم تلبث أن أعقبت سيكارتها بأخرى ، وراحت تبللها من قدح ماء كان بجوارها ، وابتدأت تبعث من حرقتها ما يجذب نياط القلوب .

فقلت :

— هوني .. هوني .. حرام والله على هذه الأنفاس الحارة تتقاذفك يمينا وشمالا .. ما الذى حدث ؟
فردت وهى تضطرب بين الفينة والفينة :
— يا للخيانة !

فقادنى حب الاستطلاع الذى هو غريزة كل بشر إلى اقتفاء ما يعقب كلماتها فقلت :

— إذا رأيت صعوبة فى الإفضاء فسكنى .. واقبى صفحة كما يقول المثل العراقى المشهور .. وحدثنى عن خدمة إنسانية ، أو تضحية بعمل خيرى .

— دعينا من الإنسان والانسانية يا فتاتى واسمعى :
هناك فى الشارع ... قصر فخم ضخمة تسكنه عائلة غنية لها نوع خاص من تصرفات الحياة أكثر ملائمة للجو الغربى

منه إلى الشرقى .. تتسكّون من أفراد ، يربو عددهم على الستة
أو السبعة لا أدرى بالضبط .

وقد تعود أحد الأصدقاء الذين تجمعهم والزوج أوامر
الصدقة أن يتردد باسم الأخوة بزيارته المتقطعة إلى هذا
القصر !

وهنا استوعبت زائرتي زفيراً عميقاً كما يفعل المغنى لأداء
لحن طويل يقتضيه الفن ويتطلبه الواجب ، فأسعفها بقدر
من الماء البارد ، وراحت تتابع حديثها :

— أما الزوجة فكانت من اللاتي يحسن القيام برئاسة
صالون لإدارته ، ولكن الرجل أخذته سيرة الإعجاب
بإخلاص زوجه ، واعتقد بوفائها حتى لو أطبقت السماء على
الأرض .

وماذا يتمنى الرجل . إذا منحته الحياة زوجة تحبه ويحبها !
وسرعان ما دار رقاص الزمن فاختل توازنه ، فأبى إلا أن
يبرهن على ماهية الزوجة . وكان الزوج إذا خرج في الصباح
لا يعود إلى البيت إلا في الوقت الذي تعودده وقت الظهر ..
وحدث سهواً أن قفل راجعاً إلى بيته بطريق الصدف ..
ويا للصدف من خير وشر ! .. فهي إن شئت نعمة ، وإن
شئت نقمة .. وما أن وصل فإذا به أمام مشهد مريع ..



يقع أمام عينيه .. ألا وهو ، زوجه أم أطفاله بين أحضان
صديقه الذى أودعه حسن الظن !!

وهنا استعادت أنفاسها ريثما تستريح .. وشرعت تهز
إحدى رجليها ، ثم ترفع دخان سيكرتها بشمكل تمثيلي .. كأنها
تخاطب حاكما ترجوه أن يتولى عقاب هذه الزوجة أو الصديق .
ثم أردفت قائلة :

— ولا أدري كيف استطاع هذا الرجل آتئذ أن يكبح
اضطرابه .. ويقاوم أعصابه ، ويهدئ من دمه الهائج المغلي ،
فهز رأسه لهذا المعروف الانساني ، وهو يتمتم :
— هنيئاً ... طاب وقتكما ..

وجلس الرجل فى غرفة الاستراحة . يقلب كتاب (خبايا
الصدور للسباعى) . وهو يقول :

— وددتك يا «يوسف السباعى» لو كنت شاهد عيان .
ولا أدري لماذا وقع اختيار الزوج على شاهد كيوسف
السباعى !!

أما الصديق فلوى على وجهه ، وجثت الزوجة تحت
قدميه تسأله الغفران وأى غفران ؟ فأجابها وهو يتلعثم :
— خائنتى المهذبة .. لنقتخر بحسبك الغالى .. ونسبك
الرفيع .. فوالله لقد كنت مثالا لطبقة (الهاى لايف) .

إيه .. غرك بريقتها وخدعتك زخارف بيتها . فلا صديق
يؤتمن ، ولا زوجة تعتبر . لك أمرك وبيتك وحرية
تصرفك . أما مسؤولية شرفك فلتسكن نحرأ لذويك ، واعتراضاً
بفعلتك .. وذى وثيقة الخيانة أقدمها كهدية بسيطة ، بسيطة
جداً ، لسالف أعمالك .

ولا أدري ما حلّ بهما بعدئذ ، فقد انقطعت زيارة
زوجي عنها .

فأجبته :

— ليست الخيانة يا سيدتي بالحسب العالى أو النسب
الوضع . فالخائن خائن سواء أكان ربيعاً أم وضيعاً .
فردت على الفور :

— أنا لا ألوم الزوجة الخائنة ، لأنها عنى غريبة ، بل
ألوم زوجي الذي خان صديقه وزميل طفولته !
— إنك على حق !

والآن وبعد أن انتهيت من سرد حكايتك .. اسمحي لى
يا نائرة بسؤال خفيف . ورجائي إليك . أن تهدئي ولو شيئاً
قليلاً من أعصابك المضطربة . فليست زوجك !
ضحكت واستمرت فى ضحكها . فتأكدت ساعتئذ من
هدوءها .. فقلت لها :

— لقد ظهر لى يا عزيزى أنك تشكّين حبك لزوجك
وغيرتك عليه أكثر من خيانتك ، وإن كنت المحقة
فى ادعائك .

إن المرأة مهما بلغ بها التهذيب العالى . . من ذوق
ورونق ، فلن تنسى غيرتها على زوج يجمعها وإياه الحب
الصادق ، والإخلاص المتين . . خصوصاً إذا كان عهدهما
بالزواج حديثاً ! . أجيبنى . . أليس كذلك ؟
— عظيم ، رائع . . يعجبنى أن أسجل أقوالك بماء
الذهب . . . زىدينى . . .

— إنى فى انتظار زوجة ثانية يخونها زوجك . . لا كتب
نموذجاً ثانياً من صور الخيانة .

وهنا تركتنى . . فاعتذرت ، وانصرفت .
أريد أن أسأل الآن حاكم الأخلاق لاحاكم المواد
والقوانين ، لأن موضوعى خيالى ، وإن كان فيه من لمس
الحقائق شيئاً .

أى نص يترتب عليه تنفيذه فيما لو كان الزوج هو الخائن ؟
علماً بأن الصديق والزوج قد رضعاً من ثدى واحد ؟



سلوا المعري !

سلوه :

هل الليل الباكي أضناه ، أم ضوء النهار أشقاه ؟
أآلام الحياة أطربته ، أم مكابدة الحرمان أشجته ؟
أخطوب الأيام فلسفته ، أم نكبات الدهر عظمته ؟
أذل العيش خفضه ، أم عز العيش رفعه ؟
أحكم القدر هزّه ، أم غناء المستقر عاقه ؟
أدجلة الهدار أسكره ، أم نسيم الزوراء أثمله ؟
أآمن فأحسن ، أم جحد فسيجن ؟
سلوه : أعانى الشقاء فنطق بالنقمة ، أم رفل بأثواب الهناء
فازدهى بالنعمة ؟

سلوه : بربكم ، لمن الدنيا ، وعلام التجبر ، ألابن الثرى ،
أم لابن الثريا ، وقد ساوت فلسفته الثرى والثريا ؟
سلوه : أبى من خلقه وطباعه ، أم بى من حيرته ونظرته ؟
ولم أنته من تخيلاتي هذه حتى رأيت المعري أمامي فعاتبته
وقد اغرورقت عيني بالدموع :

— يحزننى يا رهين المحبسين أن تقسو علىّ إلى هذا الحد

قدمت عينيّ فرفضتهما شاكرآ ، وقد حزّ في نفسي جهل
الناس مكانتك فعاتبني قائلا ، مالك يافتاة الإنسانية والناس ،
إنني بنت الصدف ولا ميعاد للصدف فهل تعتقد غير ذلك ؟
وكيف ومتى ؟

فهرز رأسه وقال :

— عزيزتي ، كوني حيث أنت ، ولا تبالي ، أرضى الناس
عنك أم غضبوا لأنك بنت الصدف .
فأجبهته وأنا أنكلف الابتسام :

— أعني أن أكون مثلك يا أستاذي العظيم ، تسامح من
يتطاول عليك ، وتعفو عمن يسيء إليك باسم الفلسفة
والآداب والنقد .

فضحك المعري ضحكة عالية رجّت العالم الأدبي والفلسفي
وقال :

— لم أكن أعتقد أنك على هذا القدر من الذكاء ، ذلك
ما أعنيه بالضبط يا فتاتي ، همستك بين بين ، فلا هي موجهة
لتبكي ، ولا هي نفحة أريجة لتسرني .

فأجبهته بنشوة : لله درك يا سيد العقلاء ، يا حكيم الحكماء ،
أتريدني الإفصاح أكثر من هذا .. دعني أسألك ، علني أصل
إلى قرار .

— لم بالغ الخالق سبحانه وتعالى ، في زخرفة طباعك ،
وأبداع جمال خلقك وجعلك آية من آياته البالغة ؟ ألخيرك أم
لشرك ؟ السعادتك أم لشقائك ؟

— لست أدري .. بل الأخرى أن تبقى على جهلك ،
فالجهل أحياناً نعمة سابعة .

— آمنت بعظمتك ، وتوثقت بسداد رأيك يا أستاذي ،
لولاك ولولا عشرات من الرجال فقط ظهوروا قبلك وبعدك
لعم الأرض الفساد ، ولأطبقت السماء على الأرض من ظلم
الإنسان لأخيه الإنسان .

— والآن حان وقت صلاتي . فاسمحي لي أن أغيب عنك
لأداء فريضتي .. ذلك هو عظيم يا فتاتي من يشغل بال الناس
ويصرفهم عن أنفسهم .

قال ذلك وصاحني مودعاً .

رحم الله امرئ أفادنا حياً وميتاً .

صوت حواء

[الى زكي مبارك]

لقد مضى وقت على ماجرى بينك وبين المرأة فيما كتبت عنها وما وجهت إليها من إهانة وتحقير ، وانقطعت عن التحدث عن المرأة والاستهانة بها وامتهانها ، فهلا تزال تحمل العداوة والبغضاء لها ؟ لست أدري ، فلعلك باق على ما كنت عليه ولم تغير من الأمر شيئاً .

لقد دارت بخاطري - أيها الدكتور - كلمة أردت توجيهها إليك ، لتجيبني ، واقعياً صادقاً ، والمعروف أنك أديب حائز لشهادة الدكتوراه ، أجل لتجيبني بصراحة دافعها الوجدان لا التزلف والانحراف ، ولا الاتصاف بعقلية جافة قوامها العناد ، ونبراسها العدا ، وغايتها تفضيل جنس على آخر ، فإني - يا أستاذ - مهما أجهدت الفكر وركنت إلى الكلام المنمق فوضعت الأمور في نصابها ، لم أستطع تغيير ما نلسته فيك من التعجرف والخشونة ضد الجنس اللطيف ، فلا داعي لدكتور مثلك أن يتوصل إلى الشهرة والمجد عن هذا الطريق وهذا السبيل ، ولا دافع لأديب مثلك أن يضع

سمعته في هذا العداء الشخصي الذي لا يقوم على أساس من العلم أو نصيب من الواقع .

إن الإنسان ، لم يصل إلى ما هو عليه الآن في طفرة واحدة ، إنما هو تطور حتمي ، حصلت فيه تغييرات جوهرية كثيرة ، فلا بد لك من أن ترضخ للأمر الواقع ، فتبتدع عنك هذه الأفكار والآراء التي لا تقوم على شيء ، فلا حاجة إلى أن تطعن في الجنس اللطيف أو يطعن هو فيك ، على قياس أن الناس سواء ...

لقد قال عميد الأدب العربي في هذا الجيل الدكتور طه حسين بك :

« صدقتي أن نفوس الناس معادن ، ومن المعادن ما يعالوه الصدا ومنها ما لا يجد الصدا إليه سبيلا » . لقد كان عميد الأدب العربي محقاً كل الحق ، فيما يقول ، فلم يقس الناس بمقياسك الضيق ولم يزنهم بميزانك المنحرف . ألا فما أشقى من يعالو نفسه الصدا ، وما أسعد من لا يجد الصدا إلى نفسه سبيلا ..

فاقلع عن هذه الآراء الخاطئة ، واعلم بأن المرأة هي نصف الرجل وشريكته في الحياة ، وهي بالتالي أمك وأختك وزوجتك ..

فتاة الانسانية

حدثتني فتاة ذات مرة قالت :

— اعتدت أن أراه في طريق ذهاباً وإياباً ، ولا أدري
ما الذى شخص بصرى فيه ، هل هو منظره المؤلم ؟ أم مرآه
الحزين ؟ أم كلماته التى اتخذ أنينها سلوى ؟ أم ماذا ؟ . وكنت
كلما رأيته ازددت نحوه شفقة وحناناً .. أما لماذا ، فذلك
ما لست أدريه .. بأن مرت أيام .. وأعقبها أسابيع .. وكلما
هممت أن أوجه إليه كلمة أخشى الفشل .. هل هو فقير ، شأنه
شأن أمثاله الفقراء الذين اتخذوا طريق الله بيتهم وملجأهم ؟
أم هو مسكين لقي من جور الدهر ما ناء بحمله ؟

وأخيراً صممت على أن أفيق مبكرة .. لعلَّ أجد ما يدلنى
على سيمائه .. فاقتربت نحوه قائلة :

— عم صباحاً ياسيدى .. مم تشكو ؟ وهل فى استطاعتى
أن أخفف عنك ما تعانيه ؟

فصوّب بصره نحوى فى شيء من الاستفسار والازدراء ،
وأجاب رداً على تحيى :



— وماذا يعينك من
أمرى يا فتاتى ، وأنا
مريض ؟ !
— إذا كنت مريضاً
يا سيدى ، فإن حالتك
هذه تهمنى وتهم كل
إنسان بالمعنى الكامل .
وكان كلامى هذه
أثرت فيه ، فرد على بدون
شعور قائلاً :
— اتركىنى يا ابنتاه ..
إنى فريسة فقر دائم
وعذاب مستمر .

— عفواً يا شيخ .. ظننت أن فى استطاعتى أن أرفه عنك ،
ألا تستطيع القيام والسير معى ؟ .
وأخذ الرجل يمشى ، كاشفاً رأسه ، داعياً المولى أن يكشر
من أمثالى .
ثم قال :
— لا أطيق المشى ، إن البرد قارس ..
فتقدمت نحوه فى لطف وحنان ، وقلت له :

— هاتنى يدك .. وسر معى .

وأخذنا نسير وتبدأ .. وكان طريق الإنسانية (المستشفى)
خالياً ، إلا القليل من المارة ، وحين وصلت الدائرة (المستشفى)
ناديت على الخادم :

— يا هذا ! أدخل هذا المسكين وأجلسه على مقعد قريباً
من النار ، فانه لا يحتمل البرد .

— إلام تترى يا آنستى لهذه الحالات ، فدعيه وشأنه
كالمرضى الآخرين .

— هل أنت معتوه ؟ .. أليس هذا الرجل بشراً مثلنا ..
ألا تخاف قلب الدهر فتضحى شبيهاً به .. مساكين هؤلاء
الناس .. كم هم قساة حتى على إخوانهم البشر ؟ .

فأطرب حديثي الخادم وراح يهتم بخدمة هذا المسكين ..
وبعد أن استراح قليلاً وانتهيت من ارتداء ثياب الإنسانية
ناولته شيئاً من الطعام ، وما أن انتهى حتى أخذ يعزف بكلماته
على قيثارة دون أوتار :

— أنا يا فتاتى من أولئك الذين كانت لهم مكانة مرموقة
بعض الشيء .. طوّحنى الدهر لجرى الذى اقترفته .. كانت
زوجتى امرأة صالحة أنجبت لى فتاة اسمها (خلود) وفتى يدعى
(انتصار) وقد رافقنى الحظ بادية الأمر فاشتغلت وربحت ،

ولكنه سرعان ما تخلى عني ، لقد استويت أول الأمر في
الطريق القويم ولكن الإنسان ميسال إلى الشر بطبيعته ..
فأخذت أدنو منه رويداً رويداً .. آه ! .. مسكينة زوجتي ..
لقد حاولت أن تصلح شيئاً من اعوجاجي فلم تفلح .. سئمت
العيش معي ، وملت الحياة بجاني ، وبعد لأي صممت على
هجرى نهائياً حتى لو كلفها ذلك ترك الحياة . طلبت مني أن
أترك الميسر ، فازددت شوقاً إليه .. وسألتي أن أترك الخمر
قتلهفت عليها .

(ووضع المسكين يده على رأسه ليضبط أعصابه كن
يحاول استعراض شريط سينمائي) .

وأخيراً طردت من داري ، وفارقت زوجي وأولادي ..
فقادني طيش الشباب إلى البذخ المتزايد .. وأخذت حالتي
المالية في التدهور يوماً إثر يوم .. ونال السهر مني .. فهزل
جسمي ، وانحرفت صحتي ، ولعدم اهتمامي بالوظيفة قدمت
استقالتى منها .. وهكذا حرمت من سبل العيش الهنيء ..
مسكينة زوجتي .. حاولت إرجاعى فلم أعرها اهتماماً ، ولم تغير
عودتي إلى داري شيئاً من حالتي .. فازددت سوءاً على سوء .
قال ذلك وتأوّه آهة كاد ينخلع معها قلبه لاعتنا الشيطان
الذي توغل في جنة حياته فحوّلها صحراء جرداء جدباء مقفرة

وهكذا أصبحت يا فتاتي غصناً عبثت به الرياح فقال إلى
الأرض كل الميل لتطوئه أقدام المارة !
وبين هذا الحديث المستمر مدّ يده إلى جيبه وأخرج منه
محفظة أراني فيها صورة لابنته خلود .

أجل ... إنها ... إنها صديقتي ... عرفتها .. وكانت نعم
الصديقات .. تلك التي امتازت بحمال تعجز فصاحة سخبان عن
إعطائه حقه من البلاغة والوصف .. وهذا ما دعا تلميذات
المدرسة ومعلماتها وضمنهن المديرية طبعاً إلى أن يتهاوسن كلها
وقعت أعينهن عليها في كل مناسبة .

نعم هي صديقتي التي جالستني كثيراً .. وحكت لي قصتها
مع والدها ، ولقد أنهت دراستها بشق النفس ، وأخذت
تزاوّل مهنة التدريس في إحدى الألوية .. ولكنني تجاهلت
وأخفيت كل معرفتي بها ! .. وأخذت أزداد حناناً واحتراماً
للرجل فهو والد زميلتي .

قلت له :

— أبتى ! أتدخل إحدى الردهات في المستشفى
الإنساني ؟ .

— أتعديني يا ابنتي بالمساعدة ؟ (وكانت ملاحه ترشدني
إلى أنه يشكو الماء ممضاً في أحشائه) .

— لم لا .. وحالتك هذه تستوجب رافة كل إنسان
حتى من تخلى عنه الضمير الحى !

فهرز رأسه إيجاباً كمن تعذر عليه أن يجد الرد اللائق
لكلماتى .. وأدخلته بأمر الطبيب المسؤول إلى أحد
الأجنحة ، وبعد تقديم شكرى للطبيب أودعته تحت رعاية
(الأخت) المسؤولة وانصرفت .

وهكذا استمرت فتاة الإنسانية تحدثنى ، قالت :

— لم أر بدأ من مراسلة صديقتى المعلة (خلود) ، وإن
مضت مدة ليست بالقصيرة على انقطاع الصلة بيننا ..
وأخذت الصداقة بينى وبينها تقوى من جديد ، وكلما اقتربت
منها ، دنا أبوها من الموت شيئاً فشيئاً ، ولا تسلم عن فرحى
وابتهاجى حين جاءت الفتاة وأهلها إلى بغداد فرحبت بهم
جميعاً .. وأخيراً اعتزمتنا زيارة المستشفى الانسانى ، وأخذنا
فى السير حتى وصلنا سرير والدها ، فبادرته بالسؤال التالى :

— كيف صحتك يا والدى ؟

— مشرف على الموت يا فتاتى .. (وهنا أخذ الأهل
يتهايمسون باللغة التركية) .

— لا .. أبداً إنك فى حالة جيدة ، إن شاء الله تفاعل

بالخير .

— ماذا تقولين ؟ فى حالة جيدة ! (فأخذ يضحك وهو بهم أن يترك سريريه) فأسندته إلى صدرى كما علمتنى مهنة الانسانية وأتقنتها .. أما ضحكته فما كانت إلا استهزاء بنواميس الحياة ! . وشخص بصره صوب الجماعة .. وبمنظرة الحياة الأخيرة التى هى قريبة من باب الموت تأوه قائلاً :
— لو أرى زوجتى .. أطفالى .. (صعقت الزوجة نائحة ، وأعقبها فتاتها .. وابنها .. إنه .. إنه والدكم !) .
الزوجة — كم حاولت إصلاحك يا أبا خلود (بلين)
وكم .. وكم ..

ثم ارتمنى هؤلاء المساكين الثلاثة على ذلك السرير الذى وضع فوقه هيكل عظمى لم تمهله الحياة إلا دقائق معدودات .

وبعد أن تمت مراسيم الدفن على حساب أهله ، واسيتهم فى مصابهم الأليم ، ورجوتهم أن يستغفروا الله له .
وما أن انتهت الفتاة من قصتها حتى شكرتها على حسن صنيعها .. حقاً إنها فى طليعة الممرضات .. لا بل فى طليعة الفتيات لما امتازت به من روح طيبة .. أكثر الله من أمثالها لخدمة الانسانية .



وثبة الشباب الجبارة

هى وثبة أثارت كامن آلامى ، وبعثت مرير شجوى .
فلله مافى هذه الأيام من عظة وذكرى ، ولله ماتبعث فى النفس
من عظة وعبرة .. إنها لأيام الإنسانية المسكفة فى سبيل الحق
والحرية ، إنها لأيام الأخوة والتآلف والتآزر والتكاتف
بين الجميع ، ونبد الحزازات والاختلافات التى يروّجها
المشاغبون والدساسون وراء ظهورنا ، فقد أثبتت الحوادث
الأخيرة ، وأقر الزمن ، بأن شبابنا الجبار على اختلاف أديانه
هو النبراس الذى نستضىء به فى ظلمات الخطوب المدهمة ،
وهم دائماً أبدأ المثل العليا فى مقاومة الخطوب وتحمل الشدائد
غير هيايين ولا وجلين ، يقارعون الدهر وهم كالطود الأشم ،
فلقد عركوا تقلبات الزمان ، عجموا عوده ، وأثبتوا للعالم
أجمع ، أن وثبتهم جبارة حقاً ، وأنهم عظيمون حقاً لأنهم
لم يسألوا وطنهم فى حياتهم ثواباً أو أجراً ، فالنضال القومى
الخالد الذى قاموا به ، والذى طرزت حواشيه بدمائهم
الزكية ، والذى ستكتب سطورهِ فى صفحات التاريخ بمداد

الفخر ، والتضحية العربية الحققة ، يشير في نفوسنا ويرف
رفيف النسيم العذب على قلوبنا ، فيوقظ فيها النخوة القومية
وحمة الوطن ، ويوحى إلينا بأن شبابنا الذين أوقفوا نفوسهم
على خدمة الوطن لا يزالون على ما عاهدوا الله عليه مقيمين
ولأمانة البلاد المقدسة مؤدين .

وليت شعري أيها القارئ العزيز .. ماذا سيسطر التاريخ ..
وبماذا ستنطق الأجيال القادمة عندما تذكر واقعة الجسر ،
أو معركة المستشفى ، فإن السكتب السماوية والسنن الشرعية
حافلة بالعطف والرحمة بالأطفال والنساء والشباب العزل ،
فمنذ أن وجد الدين وجدت معه الرحمة والشفقة .. فهما كانا
درعاً حصيناً ، وسلاحاً قوياً ، حتى عند الأنبياء ، ولقد أوصى
العهد القديم في الاصحاح العشرين منذ خمسة وثلاثين قرناً
بلسان نبي بنو إسرائيل موسى عليه السلام بالنساء والأطفال ،
وحتى البهائم ، وكل ما في المدينة التي تؤخذ غنيمة من الفاتحين ،
وحذرهم من إساءة هذه الغنيمة التي تقع في أيديهم ، وإن الدين
الإسلامي الحنيف الذي جاء بعده كان أكثر حرصاً وأشد
توصية برعاية الضعفاء والأطفال والنساء . وختاماً لكلمتي
القصيرة هذه أقول : طيب الله ثراكم ، وعطر مشواكم
أيها الشهداء ، فقد سرت وراءكم ، وترحمت لكم بدموع غزيرة ،

وبكيت على شبابكم.. ولكني تمنيت لو كنت بين الذين
حملوكم على مناكبهم ، حتى أرى ولو في لحظات مجدمكم
العظيم الذي سوف لا يبلى . وحتى أسمع ساعة عودتكم
إلى الأرض ثانية صدى نفوسكم الرفيعة التي أرخصتموها في
سبيل الوطن .. تلك النفوس الكبيرة التي ستبنى بغداد في
حاضرها الجديد مابنته بغداد في ماضيها البعيد .. وما ذلك
اليوم يبعيد .





ذكى محروم .. وغنى متخوم

أيهما أجدر بنعم الحياة وملذاتها .. هل هو الأديب
الموهوب؟ .. أم الغني المحظوظ؟.

هذا سؤال طالما وجهته إلى نفسي في ماضى الأيام،
وكان عقلى يجهنمى فى كل مرة بأن السعادة للهواهيين . لأنهم
أعرف من سواهم بأسرار الحياة وأكثرهم إلماماً بمقاييسها ..
فهم على ذلك أجدر بنعيمها وملذاتها .! واسكن . هل صدق

العقل فى مقالته ؟ وهل برهنت الايام على صحة قياسه ؟ ! . كلا
لقد كذبت تجربتى ما زعمه عقلى ، وطالما كذبت التجارب
من اعم العقول . . فهل يحوجنى ذلك الى برهان ؟ إذن فاسمع !
هذان شابان تقارباً فى قياس العمر . وتباعداً فى مرتبة المال .
عرفت الاول قبل سنين لا يحضرنى عددها الآن ، وقد كان
ولا يزال كما عرفته ، وهبته الطبيعة ذكاء لا يوهب للكثيرين ،
وأعطته موهبة أدبية قلّ أن تعطىها لغيره من الموهوبين . .
إذا أرسل الشعر كان ساحراً ، وإن عاج البيان كان قاهراً .
ولكنه الى جانب ذلك كان فقيراً . وما أعظم جناية الفقر
على الإنسان . . . أيها الناس .

فلو نال هذا الموهوب من الثروة ، ولو شيئاً يسيراً ،
لحصل على ما يستحقه من الشهادات التى أصبحت مقياس
الثقافة فى هذه الايام ، ونال ما يحدر به من الجاه الذى تقرره
الثروة فى هذه الربوع .

ورأيت الثانى : قبل سنتين فرأيت عنده عجرة البلاء ،
وسماجة الأغنياء الذين جعلهم المال كل شىء بين الناس وهم
لا شىء فيما بينهم ! لقد هبأ المال لهذا الغنى المحظوظ
مركزاً مرموقاً يساعد على تحقيق ما يريد من أحلام
الشباب ، ولم يقف به الطمع - وليس الطموح - عند حدود

الجاه وحده - فحسب ، بل أراد مركزاً ثقافياً لا يكلفه شيئاً
من الجهد - ولا يتقاضاه أجراً من الفطنة والذكاء - فترك
بلاده إلى غيرها حيث تباع الشهادات بالدنانير وتستعصى
على طلابها بالجهد والذكاء . وقضى في ديار الغربة سنوات
لهو ومجون ، رجع بعدها بشهادة مهما كثر حاملوها في البلاد
فإن لهم منزلتهم واحترامهم بين المجتمع .

هذان صديقان أو رفيقان جمعتهما الظروف ليعيشا
مقاربين بالجسم ، وهما متباعدان بالفكر والأدب ، فأحدهما
غنى محظوظ ينال من نعم الحياة ما يبتغيه ويحصل من ملذات
الشباب ما يتمناه . وماذا يبتغى الإنسان من النعم ؟ .

وماذا يتمنى الشباب من الملذات ؟ ؟ . الاسراف في اللهو
والمجون . والاندفاع إلى الكأس والحسان ؟ ؟ . تحوطهم
مظاهر الجاه والنفوذ !

وثانيهما ذكي موهوب تتجافاه الأمانى وتخونه الأحلام .
تتوق روحه للملذات الشباب الأدبية وتطمح نفسه إلى الرفعة
والكمال . ولكن أعاصير الخطوب أقوى من منى القلوب ،
وأصدق من أحاديث الأنفس . فأين منه ذلك وهو لا يملك
المال . والمال مفتاح السعادة وسلم الجاه ؟ !

لقد فكرت . . فكرت ملياً . . ونظرت إلى الغي من

بعيد . نظرت إليه من وراء ستار المال ، فرأيت إنساناً أجدر
بالشفقة منه بالازدراء ، حيث لا ثقافة ولا شخصية ..
ولا ذكاء ولا منطق .. ونظرت إلى الذكي من وراء حجب
الفقر والحرمان ، فرأيت إنساناً بكل ما يستحقه الإنسان من
صفات الفطنة والحيوية والطموح .

ألا ما أقسى نواميس الحياة !

وما أتعس تصاريف القدر ... !!

لقد آمنت بالخط .. وما كنت لأؤمن به من قبل ... !



وقفه على قبر المعري

بي من خلقه وطباعه .. وبني من
نظرته وحيرته ما تضيق عن وصفه
القرطيس ، ويجف المداد .. ولو
أردت الإجمال في هذا الوصف ، لما
تعديت الإعجاب بشخصيته الفذة ،
التي استطاعت - على ما بيننا من
قرون وأجيال - أن تنفذ إلى
أعماق ، وتستولي على الخفقة الراحشة
الأولى من خفقات قلبي ، ويا الله .

ما لهذه الشخصية من قوة وحيوية .. ويا لله من هذه القوة
من لذة وروعة .

إن شخصية أبي العلاء لغز مطلسم الجوانب ، عجز عن
فك عقده كبار الفلاسفة ونوابغ الشعراء . فذهبوا فيما
يريدون من تعريفه مذاهب شتى ، تختلف على حساب
أمزجتهم ، وتصوراتهم .. وبالتالي دراساتهم ، ولم يستطيعوا
أن يجمعوا على رأى واحد يغنى الدارس للأدب عن
الوقوف على شاطئ الوهم والخيرة فى أمر فلسفة المعرى ..
هذا الشاعر العبقرى العظيم .

فمنهم من قالوا : إن المعرى محروم ! . وحرمانه متأصل
فى فقدانه البصر ؟ وجاؤوك بالأدلة المستنبطة من تراثه الخالد
العريض ، ومنهم من رجحوا أسباب حرمانه إلى نقمته على
الحياة ، ونقمته عن جاء به إلى هذه الحياة ، وليسوا بأقل
من سابقهم من استنباط الأدلة ، واستخلاص البراهين ..
إلا أنهم ، وإن اختلفوا فى الجوهر ، فقد اتفقوا فى المظهر
ووقعوا جميعاً على وثيقة الأدب بأنه محروم ؟ ! .

ولو فرضنا على أننا فى عصر المعرى ، وأمعنا قليلا فى
المقارنة بين العصرين ، لو جدنا شئ من صحة فيما قيل عنه ،
وعن نظرته إلى الوجود التى اتهمها البعض بالظلم ، فإنه قبل

كل شيء إنسان . والإنسان لا يفهم الأشياء المحيطة به إلا بعد أن يراها . . ولا يطول مدى تفكيره في الحياة إلا بمقدار بصره وتبصره ، وإن كان أعمى .

والمعرى - وهو أعمى - كان ينظر إلى الحياة بقلبه ، وبمعنى أوضح بأحاسيسه . . وشتان بين النظرة في العين ، وبينها في القلب . . فأية جريرة تسيخ أنفسنا على إلصاقها به حين رسم ما أوحى إليه أحاسيسه على أنها صورة ناطقة للحياة ؟ . ثم ما ذنب هذا الفيلسوف الذى ينظر إلى الوجود نظرة خالية من المقاصد والأغراض ، وأعطى عبر نفسه ومواعظ عقله للناس ؟ . وما لنا نحن وهذا الرجل الذى جعل من حياتها فلسفة أفلاطونية رسم فيها ماشاء من حروف جبرية وهندسية صعبة الحل والمثال ؟ .

خبرنى بالله عليك ! . . أى رجل استطاع فك هذا اللغز وتوصل إلى كنهه هذا الفيلسوف ؟ وأى فيلسوف هذا الذى شاء له الزمن فى التعقيب عن محاسن فلسفة أبى العلاء ومساوئها ، وأخرجها للناس دون ظلم ؟ وأين هذا الحكيم ، بل الحاكم المنصف ، فيصف المحنة التى استولت على المعرى وينظر بعدها إلى الحياة بمنظارها الأسود والأبيض ؟
للآن لم يأت أحد بعد !

فالأخلاق عند المعرى لغزاً قد أعطاه الله وحده وكفى !
وإلا فأى بصير عانى ما عاناه ، وقاسى ما قاساه ، وقاوم الحياة
ضاحكا وباكياً ، لا لعلبه ، بل لجهل الناس إياه ؟ !
أقول مع احترامى لناقديه وجاحدى حقه :
إن المعرى رجل العصر ، وليس برجعى فى كل أمر من
أمر حياته .

نظر إلى الحياة نظرة حقة صائبة تجمع بين الألم والفرح
والآمن والفرع . . والرقدة والنهوض . . نظرة خالية من
المقاصد ، صافية من الشوائب .

عاش فى عصر شحت فيه مياه العقول ، فقاومه بغيث
من عقله . ويعيش الإنسان فى هذا العصر وقد فاضت فيه مياه
العقول ، فيقاوم قبضاتها فى ضيق بين من عقله ، وهو لا يأبه
لمؤيد . . ولا يأسف لمناقض . . ولا يفرح لآت ولا يترح
لذاهب ! .

فيا لهف نفسى . . يا رب ما ضرك - استغفرك - لو كان
المعرى فى عصر الغرائب . . فيا لزم من تهضم فيه الحقوق . .
ويا لعصر تضيع فيه الأصول . . ويا لجيل إن قلت فيه نعم
فى موضع لا ، ولا فى موضع نعم ، صدقوك ، وأنت المحق .
يا لهذا الزمان الذى رثاه رهين المحبسين منذ خلق السكون

إلى أن يفنى . . ولعن الله ظروفاً أبت على الأديب حقه ،
والشاعر مقامه ، والكاتب مكانته . . وأكرم بمن يوفر حق
المعري ويدرسه دراسة كافية ، وينصب له التماثيل التي تنطق
بنبوغه ومجده . . فتي . . وأين ؟ ١٩ .



دمعة على قبر المعري

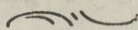
هذه زهرات أنثرها على قبرك يا أستاذي . . . زهرات
ذات عبير فواح ، قطفتها من تربة بغداد ، البلد الذي أحبيته ،
وجئت بها إلى تربة الشام البلد الذي أحبيت أن تغفو في تربته
غفوة طويلة .

أنا تلميذة من تلامذة أدبك ورسولة من رسل فلسفتك ،
ذلك الأدب وتلك الفلسفة اللذان ينبضان بالحياة ، وأنا دائبة
أعمل دوماً بنصائحك وإرشاداتك ، أقضي نهاري وليلي في
مطالعة كتبك والتعمق في فلسفتك ، ألتقط من هنا درة ومن
هناك درة . حتى إذا جمعتها لم تنتظم في هذا العقد المنسجم
المتوافق فإذا بي أذروها مع الريح لأعاود العمل وأعاود الجمع ،
وأمشي نحو قبرك حزينة ، شاردة اللب ، مستطارة التفكير ،
ملتاعة الفؤاد ، ظامئة الروح ، أبشك عاطفتي ، وأنثر فوق
تربتك هذه الزهرات التي جمعتها من حدائق بغداد ، أقول لك
إن الدرب يافيلسوفي ومعلبي لا تزال طويلة وووعة وشاقة !
ألف ونيف سنة مضت على غفوتك هذه وأحس الأدباء
والشعراء والفلاسفة في أثنائها وحشة ، وأحسوا أنهم

مجتازون قفرا ، وشعروا أنهم ضلوا الطريق ، وكيف لا يضلون
الطريق وكنت لهم الدليل الأمين ، وكنت وحدك الواحة
التي كانوا ينومون لها ويستظلون ظلالها ، وكيف لا يحسون
هذه الوحشة المؤلمة وكنت تملأ أيامهم حباً وتراحماً وفلسفة
ما استطاع أحد سيراً نحوها أو تفهمها إلا النزر القليل منهم !
هل تعبت يا أستاذي من الحياة ، فأثرت الراحة ؟

هل سئمت صحبة أدباء عصرك ففضات الانزواء في هذه
الزاوية تستريح فيها وتتخذ منها فراشاً تفترشه ووسادة
تتوسدها ؟ فإذا أنت لا تحس زحمة الحياة وضجيجها ، وإذا
أنت تنعم بهذه العزلة التي تخلد فيها .

إني سأجهد نفسي لألتقط من فلسفتك درة ، ومن أدبك
درة ، ومن شعرك درة ، وأحتفظ بها وأجعلها عقداً منظوماً ،
وأطلع بهذا العقد على دنيا الأدب وعالم الفلسفة ، فإذا عجزت
عن ذلك حطمت قلبي العاجز الضعيف ، ولذت بالصمت ،
فالصمت خير من الثرثرة كما كنت تقول .



إليك أنت يا استاذي

إليك يا من أبكاني ذلك وانكسارك قبل أن يجيش قلبك
بالبكاء وتطفح عينك بالدماء !

إليك يا من جعلني أشخص بعيون ليك الحالك ، وأئن
لسكاته الباكي .

إليك يا من ليس لفنك بدء ، وليس لإبداعه نهاية . إليك
وحدك يا أستاذي أرفع تحياتي . . .

تعال معي يا أستاذي المعري ، لأودعك عصارة عقلي .
تعال معي لأسكب تحت قيصك البالي أنفاس علي .

تعال معي لأجعلك ديتي الأبدية الخالدة . . فأنشدك لحن
عذابي التائه .

تعال وخذ قلباً لم تحنه الأمانى ولم تعاكسه الظروف . .
ولكن عصفت به فلسفتك ، فبات رهينها يتقلب على فراش
السعادة والحبور .

آه . . لقد حرمت فاكهة الحياة يا أستاذي ، فخذ من فاكهتي
ما يلهمك ويسليك لتباهي الشعراء والأدباء والحكماء .

هاهو أستاذي المعري ! . وقد اغرورقت عيناه بالدموع

وراح يبعث من أنينه موجة ولهجة هي أساس الوجود :
— إنك لست الوحيدة تعانين اليتيم ، فالطبيعة تبكي لجنايتها
على بعض الناس يا فتاتي ! .. هيا كفي عن البكاء . وانشديني
بعض أبياتي .. التي راقت لك .

— اسمع يا أبتى !

أرى ذوى الفضل وأضدادهم يجمعهم سبيلك في مده
إن لم يكن رشد الفتى نافعا ففيه أنفع من رشده
وحامل ثقل الوري جيده وكان يشكو الضعف من عقده
وهنا اختفى المعرى من أمام عيني .. وبقيت وحيدة
أتملى فلسفة الوجود .. وأطالع فى رسالة الغفران .



عتاب

« إلى الذى عاكسته الظروف وخاتته الأمانى ..

إلى المعرى أرفع شواظ عتابى ! »

إليك يا أستاذى الجليل ، أرفع أسمى آيات عتابى .

فلقد حرمتنى سنة السكرى ، منذ شغفت حباً بك .

أناجيك محبة .. دون أن تعزيك مناجاتى .

وأناغيك مسهدة .. دون أن يلينك سهادى ...

مالك لا تجيبنى يا أستاذى .. أنا الواقعة ما حييت على

قبرك ، وذرفت ما ذرفت عليه من عبرات .. أفلا تعطف

على ، وتنهض من آخرتك لتستند بكفك على كتفى حيث

أكون رفيقتك فى السراء والضراء ، ومعينتك على الهم

والآلم ، ومؤازرتك على الضعف والوهن .. وجارتك

فى العوز والرفاه .. وشريكتك فى كل مقدرات الحياة .

الله .. أما لهذا الليل المخيم على قلبك من نهاية ؟ !

* * *

ودلفت إلى الذكرى بلائها وشجونها .. وتوهمت

أننى أجد المعرى .

وددت لو تتقبل منى هدية بسيطة بالنسبة لمكانتك ..
وماذا تهديك فتاة مثلى يازعيم العقلية ؟
فاستغرب الشاعر العظيم وقال : هدية ؟ !
قلت :

— نعم يا أستاذى !
فأجابنى ضاحكاً وفى شىء من الحيرة والالتباس :
— أنا يا فتاتى سعيد بك . وبحسن نواياك .
فأجبتة فى دهشة :

— سعيد ؟ ! ما أضل عقول الناس ! ليسمع الأدباء
ويستبصر الحكماء ، وليرتف الفلاسفة والعظماء ، لقد حلت
مشكلتهم ، إن المعرى سعيد ! ومن قال لكم إنه شقى ؟ !
وتابعت حديثى :

— ياسيدى إن لى عندك مأرباً ، أتقضيه ؟ ولى بين يديك
مرمى ! أنتجزه ؟ وبين المأرب والمرمى هدية بسيطة جداً ..
وهى منى إليك .
فقال :

— أأبق بالنعم .. أو اللا .. دون استفسار ؟
فأجبتة :

— هذا حقك .. ولكن هديتى هذه بالرغم من بساطتها

سيحسدك عليها الناس أجمعين . سواء أتفضلت بالقبول
أو أبيت .

كفاني يا رهين المحبسين التمتع بعيني . . رأيت الطبيعة
فأعجبني . . وشاهدت السكون فاستحسنته ، حتى تعبت عيناى
ومالى سواهما . . وما أبسط هديتى هذه إليك ؟ !

وهنا انتفض المعرى انتفاضة نهت جميع الموتى !
وتهامسوا مؤيدين غراى به وهياى :

— عيناك ؟ ! .

قالها المعرى وهو عجب .

قلت :

— بكل سرور يا أستاذى .

فدمعت عيناه المطفأتان دمعتين حزت كبدى . وجرحت
قلبي . فكفكفت من عينيه القطرتين ، وتأوهت وجداً عليه
ولم يلبث أن قال :

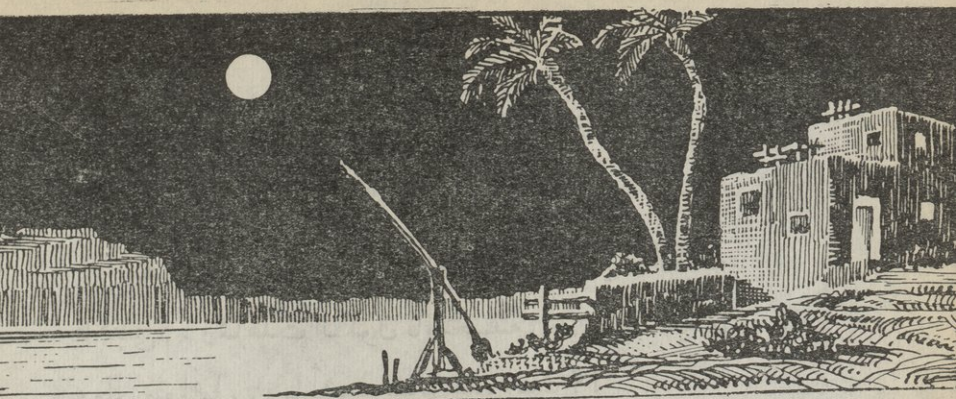
— أشكرك يا فتاتى . . أشكرك على رفضى هديتك . .

ويكفينى أن أعيش سعيداً بحديثك .

فيا أيتها النظرة . . كونى عتاباً للمعرى . . لأنه لم يتقبل

هديتى ، واحدى فيه بانكسار وقولى له عنى :

— ما أقساك علىّ يا أستاذى ! .



أيها القمر ...

عرفت وجهك ضحكاً ، وثغرك ذا ابتسامة لا تخلو من
الآلام والمصائب !!

فما بالك تنكر وجه السرور ، وتجد طيب السعادة ،
وتجهل طعم الأفراح ؟ .

فيك يا قمر جمال الحياة .. وجاذبية الطبع . فما لعينيك
الساهمتين تنطقان بالاحزان ، وتتحرى دقائق الأمور ؟ .
علام حيرتك . . وعندك من مظاهر الجمال ومعالم
السرور ما يكفيك ؟

خبرني أيها القمر .

لمن هذه الدنيا إذا شكوت ..؟ ولمن هذه المباهج إذا
 كفرت ..؟ أليست كلها منك وإليك ؟ .
 فالإلام والإلام تخفى وراء ثغرك الباسم لغزاً مضاعفاً يفتقر
 إلى التعبير ويحتاج إلى التفسير ؟؟ .
 هاتني يا قمر صديق المعرى . لأقاسمه سر سعادتي وغموض
 هنائي !! أما علمت أنه ملهمي .. أين هو .. فإن وجدته ..
 فيا لله قلبي .. متى؟ وأين؟ فهو موضع أسرارى .. ومستودع
 آمالى .. ومنبع أحلامى .. ومرتع سعادتي وشقائى ؟ .
 أما إذا خائني الحظ في العثور عليه . فأرني خياله .
 وخبره .

لئن جحدت فضل نفسك يارهين المحبين وأنكرت
 قدرك وجهلت حقيقتك .. فلا تنس أن هناك .. فتاة ..
 قد تعشقتك ، سواء أكانت عالمة أم جاهلة . ولا تنس أيضاً
 فهي فتاتك .. أو بالأحرى .. تلميذتك .. دستورها نظرياتك
 وآراؤها آراؤك .. ترى من هي يا فيلسوفى العظيم ؟ .





مناجاة...

قال العقاد:

«خبريني يا حكمة الحكماء ، وحدثيني يا هداية الهدا ،
وأجيبوني يا من تضعوا المنظار لحظة على عيونكم اللامعة
فتلمحوا الفارق الكبير بين الحجر الثمين والحجر العادي ! ،
من هو معبودي ؟ .

أهو لغز صعب حله ؟ أم هو فلسفة غامضة حيرت

عقول الفلاسفة ولم يجدوا لها حلاً؟ والله لأحтар أن أعبر
عنك يا معبودى « المعرى » .. فأنت حبيبي الذى أودعته حبي
العدرى ، وأنت زميلي العظيم وأنا فقيرة ، وأنت منيتى التى
أحتفظ بها فى حنايا فؤادى !

والله .. لو كانت لحياتى قيمة فأنت الذى رفعتها ، ولو كان
لعمرى من طعم فأنت الذى أغريتنى به .. والله لا قيمة
للحياة يا معبودى بسواك ، بل لا قيمة لاعتقادى إلا بك !
إيه يا ملهمى .. إني فى حيرة .. فبأى لغة أخاطبك ..
وبأى لسان أناغيك ، وبأى لهجة أناديك ؟

أخاطبك بلغة العاشق المستهام الذى تعمق فى فلسفتك ،
فزاده خيالك طرباً ، وهزّه تشاؤمك اضطراباً تارة وهدوء
تارة أخرى .

فما أعظمك من قلبي منزلة ، وما أجدرك من عقلى قيمة !!
وأناغيك بلسان ما لفظ يوماً ولا نطق بكلمة « معبودى » ،
وتراه اليوم ينطق بها لك .
وأنت تدرى ما قيمتها ..

أناديك بلهجة مجهولة هى خلاصة ماتباين من اللغات
واللهجات وما اختلف ، ونهاية ما تقارب وما ائتلف ! فهل
سمعت لهجتى يا ملهمى ؟؟

والله .. والله لو تفتدى بالروح ، ومالى سوى الروح ،
لافتديتك .. ولو تشرى بالصحة لاشتريتك . ولسكن الزمن
بخيل ، شلت يده الشحيحة ، لا يقبل التعويض ، ولا يعترف
 بقيمة الشخص إلا صدفاً ، فأين الصدف منى ومنك ؟
معبودى الغالى ! ..

لا يأخذك العجب من هيامى ، ولا تستغرب من مناجاتى
ولا تقطب حاجيك لاعترافى . فإنى مع اعتذارى جازمة
حقك ، وسالبة قيمتك ، فشأنك لغز لا يحله إلا الراسخون فى
العلم وقد يصعب عليهم حله .
أكلبك بلغة الإخلاص فلا دافع يدفعنى غيره ولا قائد
يقودنى سواه .

أنت الذى عرفتني فتاة حملت من نبل الصفات وسماحة
الخلق ، ما رأت فيها الكفاية لتقول لك « معبودى » ، وكفى
الحليم إشارة !!

ناولنى يداك ، وسر معى يا وحيدى ، ومؤنسى ، ومرشدى
فى الأفراح والأزاح ، فلقد أعيانى التعب ، وأكل جهدى
الأعياء .. تعال معى واتخذنى شبه خادمة ، أنظف بيتك
البسيط ، وأرفه عن حقدك على كل فلسفتك ، وأرفع عنك
كابوس النظرة الطالحة ..

خذنى « يا داد » ودع الناس .. والناس فى لهُط وهرج
يتمنون ما تتمنى نفوسهم ، وأين التنى منهم ؟

فإن وجدت تنازلاً فى حديثى نخذنى خادمة دون علمك ،
وكاتبه إن أردت الكتابة ، ومسليه تفرج عنك الهموم ..
مالك لا تجيبنى !! أذهلك الحديث أم راق لك واستغربتة ؟

مالك لا تسعف روحى الظائمة بنقطة ماء من ماء أدبك
الرفيع .. مالى ولهذا الوجوم الديمقراطى الذى جعلنى
ديمقراطية أشعر بأمس الحاجة ولو إلى نظرتك .. آه منك ..
وآه .. لا تتدلل فلقد أعيانى دلالك ، ولا تتمايل طرباً فأخشى
السقوط فى شرك لغزك .

آه منك وآه .. فلم هذا السكوت .. هل هو عظمة ؟
لا أدرى ! هل هو غطرسة ؟

حاشا ... عهدى بك على منتهى البساطة فلم كل هذا
وذاك ؟

أجب يا عبقرى ، وخذ فنجاناً من القهوة المثلجة عليها
تهدى أعصابك .

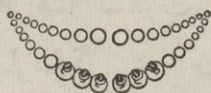
الله ! الله ! ما هذا .. ماذا أكلم فوق الفلسفة ؟
إنها جرأة منى ! ولكن طالما أوحيت لى سر الحياة ، فدعنى ،

وقل ماشاء لك أن تقول ، وخذنى وديعة طاهرة الذيل أتلقب
بـ « خادمتك » .

فرد بانتباه ، وكأن طول حديثي لم يسمع كلمة منه
إلا ودعني أتلقب بخادمتك :

— حاشاك ! حاشاك ! أنت فتاتي ، ونعم الفتاة !

ألا ما أسعد المعرى .. وما ..



في سكون الليل...

في سكونك يا ليل متعة وروعة... وفي هدوئك يا ليل
رهبة وخشوع!

في أحنائك يا ليل نفس هادئة.. تستلهم سر الوجود..
وتناجي أمانى الحياة.

لله ما في سكونك يا ليل!.. ما ألد متعتك.. وما أعظم
روعتك.. وما أجمل هيبتك وخشوعك.

إنها لتبعث في النفس الملتاعة أملاً.. وفي الروح الحائرة
بهجة وسروراً!.

لطف نفسي يا ليل.. كم من نفوس ملتاعة في الوجود..
وكم من أرواح حائرة في هذا العالم؟.

لقد نامت أعين الناس.. ورقدت أجسامهم.. فما بالي
وفلسفة المعرى تتقاذقني يميناً وشمالاً.. فخرمت اللذة في عيشي
وعزّ الكرى على عيني.. وتاقت نفسي لاستطلاع شخص
جحد حق الإله.. واعتصب حق نفسه بنفسه!.

في سكونك يا ليل مناجاة بين نفسي المستطلعة للأسرار
وبين من هم أصل أدبي.. وأساس خلق.. ومنبع طباعي.



وفي سكونك يا ليل بهجة ولهجة ، تختلف عن بهجة
النهار ، ولهجات الناس .. فأنت الذي قرّبت أبعد الناس
عندي ، وباعدت أقرب الناس إليّ ، وفي بُعد أولئك وقُرب
هؤلاء لغز فلسفي وسر عجيب ، إن كان مصدره المعري فنعمت
المعرة التي أنجبته .. وإن كان سره (طه حسين) لأنه حاول
إعطاء بعض حقوق المعري .. فما أعظم الدنيا بهمة وصلك
يا (أبا فاطمة) .

أيتها الأراضى الشاسعة ! أيتها السماء الواسعة ! أنا جيئك
وأنا في دار العزلة .. فما للناس شغلوا بالهم بأمر شغلت بسره ؟
ألكوني من أنصارك يا أعمى المعرة ؟ ..

فليقل الناس ما شاءوا .. وليتحدثوا بما أرادوا .. فلن
 يزنى إيلامهم إلا وثوقاً في نفسى وإغراقاً في ميولى !
 فى سكونك يا ليل يهزنى الشوق إلى مناجاة المعرى ..
 فأخيله ببساطة عيشه .. وعظمة عقليته .. وفلسفة حياته ..
 وثقافة نفسه .. أنبل ما يمكن ، وأعظم ما يكون .
 فأجاده .. ويتلذذ بمجادلتى .. وأشاطره همه ، وغمه ..
 فيلومنى لاعتصامى به .. وكلها لامننى على شىء فى ذلك أو أراد
 إيلامى لا يجد فىّ إلا شوقاً إليه ، وتلهفاً على عقيدته .
 سكونك يا ليل حركنى وأيقظنى .. فشاهدت معرینا
 يکنس أرضه بيده جالساً على حصير مشرف على التلف ،
 فأردت أخذ المسكنسة لأنها من بعض شؤون الجنس اللطيف
 فرفض شاكرأ صنيعى ، ووددت أن أسقيه فنجاناً من الشاى
 أو القهوة ، فقبل بعد تردد قليل .
 أية سعادة أيها القارئ العزيز تغمر فتاة فى سنى لو أنفقت
 حياتها خادمة فى بيت الأدب والفلسفة ، لترتشف من المنهل
 العذب ، وتعيش فى الخيال البهيج .
 سكونك يا ليل صوّرتلى مرض المعرى ، وأنا ممن تجيد
 فن التمريض ، فأردت أن أقوم بتمريضه ، وترويح نفسه مما
 تكابده من هموم الحياة .. وإذا بالطبيب يصف له ماء دجاجة

صغيرة ، ولما جئته بها خاطبها قائلاً :

— إيه يا مسكينة .. استضعفوك فوصفوك ! لم يصفوا
شبل الأسد ؟ فاذهي في حراسة الرحمن .

فعجبت لهذه النفس الرحيمة بعطفها على الحيوان ، وهي
لم تعطف على نفسها مثله ! .

وعجبت لأمر الناس ، وهم في عصر النور والسرعة ، كيف
يؤذون الآخرين ويعملون للقضاء عليهم .

وآه ! في سكونك يا ليل شيعت جنازة المعري .. فما أعظم
أسفى .. وما أشد ألمي .. وما أروع لطف تلك السويغات
الجميلة التي جمعتني بروح المعري في عالم الخيال .

إيه يا سكون الليل .. لم أجد ما يوصل إعجابي إلى المعري
إلا نسيمك العليل ، فبلغه تحيتي الخالصة وقل له عنى :

— لأن حرمت المداراة حياً ، نخذني لأداريك ميتاً ..
وأرعى رميم عظامك .. فلعل البعث يخلق معرياً آخر في عصر
السرعة والنور .. ولكن هيهات .. هيهات ..

أجل .. وهنا هتك الليل ستره ، وخفت صوت كان
شجياً كهدير الحمام .. وقطعت مناجاتي ، وانحدرت إلى مخدعي
يهزني للمعري شوق شديد تضيق عنه الصفحات .

متى يا زمان تجود بمعري ثاني ؟ ! .

بنجوم لبنان

لا تعجب من هذا العنوان أيها القارىء العزيز .. فما
عهدي بك إلا كعهدي بى .. هادىء الخاطر ، مرتاح البال ،
فى السراء والضراء .. ذا قلب إنسانى لا يهون عليه حتى ،
لو سرقت محتوياته ، ولا يجد الغضب إلى نفسه سبيلا حتى
لو كشفت مضامينه !! وهل هذا العنوان أغرب مما تتصور
فتعود إلى نفسك تسألها :

هل أقصد بنجوم لبنان .. بنجوم السماء ؟ .
أم أعنى النجوم التى نتصورها نحن الشرقيون أو (إخواننا
الغربيون) كنجوم هوليود ؟ .
أم .. أم ماذا ؟ .

عفواً ومعدرة .. لا تتعجل باستغرابك .. فعهدي بك
كما قلت .. كعهدي بى ، هادىء لا بارد .. وذا قابلية للاستفهام
فى حالتى الغضب والسرور .. فان صح طبعك كطبعى ..
ومزاجك كمزاجى ، وروحك كروحي ، وعلائم استفهامك
كعلائم استفهامى .. أدركت ما أقصد بنجوم لبنان .
آه .. من نجومك يا لبنان .. وألف آه .

إنها لتجمع الحقيقة والخيال تارة .. والسعادة والشقاء ..



طوراً .. واليأس
والرجاء حيناً ..
والتمتع والحرمان
مرة ..

فما هي نجومك
يا لبنان ؟

هي كالبحر
الهائج المسائج ..
تلتهم مجوهراته
النفيسة كلما زاد
غوصها في القاع .

فما هي نجوم لبنان يا ترى ؟ .

الله يا الله من تكرر هذا السؤال ؟ .

هن .. هن المسلولات .. اللائي ضمنن مصحك يا لبنان
بحكم الأقدار القاسية ، فاجتمعن في سماءك .. من قاص ودان ..
ينظرن إلى فاكهة الحياة بعين دامعة لامعة كالنجوم .

أليس كذلك ؟ .. خبريني بالله عليك يا أيتها النجوم ..
وارحمي شبليات يفتقرن إلى ميعة الصبا ؟ .

يا للظروف القادرة على خرق هدنة الحياة .. فهي التي

حركتني بعد جمود .. وأيقظتني بعد رقود .. حينما تطرقت
إحدى الكتابات لهذا الموضوع المؤلم المضني .. ولا أدري
لماذا وقع اختيار الكاتبة عليه ؟ لأنها شعرت بأني أنظر إلى
الحياة نظرة ضيقة ؟ أم خامرها شك بميل إلى عميد الأدب
« طه حسين » ورهين المحبسين ؟ أم ماذا ؟ ومهما يكن من
سبب .. فلقد أعددت له حديثاً خاصاً ينفرد به أضييق به
الآن لأشرحه مفصلاً .

ليت شعري .. ما شأن نجومك يا لبنان ؟ .

لقد فاض لها دمي .. وابتسم لها قلبي ، وأصبحت بي منها
ما يعجز عنه القلم ، وتضيق به الصفحات .. لأسجل شعوري
تجاه زميلة ، ودودة .. مخلصة ... وما أراني والله ...
إلا منقاداً تارة .. ومنساقاً تارة أخرى بحيرتي .. فأخشى أن
أنبه القاريء ، وهو غافل .. وأخشى أن أحرکه .. وعهدى
به الرقود .. وأخشى أن يلومني لمزاجه العصبي .. ولختصر
تعبيري عن نجوم لبنان .. وأخشى .. وأخشى .. ولسكن مادام
من طبعي الهدوء ، فلا داعي لأن أخشى هذا .. وأهاب ذاك ..
طالما كانت لي الكفافة في كلا حالتي الاستفهام .. سواء
غضب أخى القاريء أم سرّ ! .

شفي الله كل مريض وعليل .. وحسب نجومك يا لبنان
بتحية مني كل رجاء لتحقيق آمالك .

مجدك خلفك

[إلى الذين أو اللواتي .. حاولوا أو يحاولوا أن يحطوا
من كرامة الفتاة العراقية في اليوم الذي يفتقر فيه العراق
إلى فتاة ناهضة] .

أيها القارئ العزيز . . ليس إسرافى فى التشاؤم هو
الذى دفعنى إلى الحديث . . حيث التشاؤم أبعد الأشياء عن
طبعى . . وسواء أصدقتنى أو كذبتنى فإنى هادئة ساكنة أمام
كل أمر من أمور الحياة .. الذى اتهمتنى فيه أو تحاول اتهاى ..
وخصوصاً التشاؤم .. فهو أشد منافرة لمزاجى حين التفكير
والكتابة والقول .. فلست أكره الحياة ولا أحبها .. فكرها
قد يتمنى فى شئ قد يجوز عنه غافله .. وحبها قد تذهب بك
ظنونك الشرقية إلى ما تحدث ولا حرج !! .

فما لك ولطبع شاذ .. وما لك ولقلب يحمل من الشواذ
أنواع تحتار فيها وأنت فى مزاج قد يكون يرتقلى ! .

أخشى أن أحدثك عن نفسى فتستيقظ وأنت نائم من
عناء اليوم .. وكما تعلم أن الحياة ليست أكلاً ولا شرباً ولا سعيًا

إلى الجاه والسلطان ، ولا لهواً بالكلام الذى يؤذى
ولا ينفع .. والآن فسكن على جهلك كنصيحة منى إليك ..
وأحياناً كما يقول المعرى رحمه الله : « نعمة سابغة » .

لا تضطرب .. تعال معى أيها الأخ العزيز نسير فى شارع
الهدوء والسكينة الذى خلت منه رقابة الأعين .. وتباعدت
من حواليه ضجة (وعجة) الناس .. وتأكد أننى لست الفتاة
المتمسكة بذيول المدح والثناء . فالحياة فى نظرى تافهة جداً
وأنتفه ما يبهر نظرى فيها هو البشر المسكين .. هذا المخلوق
الضعيف أمام تيارها ، وهبوب عاصفته لا تنهزم .. قف ..
فهما أطبقت السماء على الأرض فلا تنس أننا بشر .. وقلما
انهزمنا أمام تيارها وانتقلنا من ريحها فإذا نفوسنا - آه مسكينة
نفوسنا - ضعيفة تارة كل الضعف ، وقوية كل القوى .. هيا
لننهزم .. ثارت عاصفة إثر عاصفة .. وإذا بنا ننتقل من
هزيمة إلى هزيمة ، ومن ضعف إلى ضعف ، ومن خور إلى
خور .. زاعمين أننا لسنا المخدولين أمامك أيتها الحياة !! .

إيه أيتها الأمانى العذاب ؟ .. أية شخصية تلك التى تقف
بين يديك لترضيك أو تنل على الأقل شيئاً من رضاك ؟؟ آسفة
جداً - فليس هناك سوى خلق قويم ، لا جمال عظيم ، ولا
كمال سليم . فالكل وراء المادة راكضون .. وماذا تريدنى

أيها القارىء العزيز أن أقول سوى : أف لزمن ويالزمن قد
تغير وتبدل .. ومؤهلات الحياة قد تدهورت .. أعنيك أيها
البشر - المغرور .. فإذا سككت لاموك ولاموا سكوتك !

وإذا تحدثت عن مآسى الحياة - لا لسكونك مأساة من
مآسيها - اتهموك بميلك إلى التشاؤم ، ومسكين أنت أيها
البشر حتى لو أصبحت بين سكوتك وكلامك قالوا عنك :
ما أذكاه . شأنه شأن التساجر اللبق الذى يتحرى دقائق
أمر الحياة ليصل سفينته التائهة إلى الشاطئ الآمين .

تبا لك أيها الدنيا .. الفانية .. التى اضطربت حياتها
وتعثرت خطواتها .. ففسها الضيم وهى أبية .. وسامها الهون
والذل والانكسار وهى كريمة .. يا إلهى غيث من رحمتك ..
أنهاية العالم على هذه الشاكلة المثيرة إلى الفناء . ليت قبل يوم .
يا إلهى .. رحمة لهذا العالم المضطرب الذى بات أفراد
يتضورون ويتلونون كأنهم (عظم عاج) على سطح البسيطة ..
فالآخ لا يؤتمن على أخيه ، والصديق لا يبالي بخيانة صديقه ..
وهنا أفراد غريبة عجيبه تحط من شرف الفرد وكرامة حقه ،
كأنها تعلك عليك .. دع أيها القارىء هذا النوع البشرى
الذى غضب حتى الله عليه ، دعه وتعال معى لنقطع هذه
المسافات سواء أكانت طويلة أم قصيرة .. أنظر إلى هؤلاء

الموتى الذين تباينت أزيائهم .. وقف رويداً وناد حَفَّار
 القبور أن ينبش هذا القبر العالى .. سله بربك ! .. واجلس
 بجاني ، ولا يعتريك الاضطراب ، فإني معينتك على السراء
 والضراء .. سله ! كيف تذوى الأعمار ، وتطمس الآثار !
 وتذهب الآمال . أنظر إلى هؤلاء الموتى لاهمسة ، ولا غمرة ،
 ولا حركة شفة .. أنظر بنى آدم المساكين عند ما يمجّد الجد
 ويقعوا أمام الحقيقة التى لامراء فيها .. الله .. الله . (ولك)
 هذا قبر آخر طمست آثاره ، ولم يعد حتى لذكره آخرة ..
 مالك .. أجب .. أذهلك الحديث ؟ أم راق لك
 واستغربه ؟ ما هذه العبارات تتخلل أجزاء نفسك ، وتدب
 عظتك فتسرى إلى مكن حسك . ؟

لا .. لا أيها القارىء .. عهدى بك الصبر ، حتى
 ولوطوح بك الهلاك إلى الموت .. سترجع قريباً إلى الحياة .
 لا تخف ..

وهنا انتفض القارىء بغتة :

— واويلاه ! .. أهكذا يذهب الصبا ويهرم الشباب

ياقتاة الانسانية ؟ ؟

— (بكل هدوء) نعم ، نعم لا تضطرب ، والآن دعنا من

هذا القبر .. فقد سئمناه .. تعال نسأل حفار القبور ثانية لينبئنا

عن هذا الضريح الذى لم يحف ماء بعد .. آه وآه .. مالنا
نضحك ، أنسينا أنفسنا ونحن فى وادى الفناء .. فاضطرب
الحفار أثناء مجيئه وقال بلهجة قاسية :

— أتضحكون حتى على الموتى ؟

فأجبتة على الفور :

— لا ياعماء ! .. أما علمت أن الضحك والبكاء كلاهما
سيان فى موقف هكذا .

وكان الحفار يعلم صفات هذه الأنسة الفاضلة التى كتب
اسمها فوق ضريحها .. فرد وهو يبكى :

— هى هيفاء .. حسناء .. بلغ بها الكمال والجمال ،
والخلق ، إلى هيئته اللائقة .

فتهايمست والقارىء الذى سائرنى :

— هلا تذكرها ؟ .. حدثنى عنها .

— بلى والله .. ماذا أحدثك ؟ .

— كانت تصعر خدها كبراً ، وتثنى إعطافها عجباً ، وتجر
أذيالها جراً . وتهادى فى مشيتها والتفاتاتها ، كأن بنى آدم وحواء
المساكين فطروا وتغدوا وتعشوا على فتات مائدتها سنين عدة
وحقبةً مديدة .. مسكينة دفنت وهى حية .

— الله .. الله .. ماذا تقول ؟ أى حى يدفن فى زمننا هذا !

— لا تعجبي يا فتاة الإنسانية هي الأخلاق الحسنة دفنت
في هيكل فتاة حسناء !.

— وامصيبته رضخت تحت اللحد .. إن الله وإنا إليه
راجعون .

إيه يا أيها البشر ! .. نحن بشر .. ألا زلنا بشر ، وقد
دفنت معظم الأخلاق العالية والتربية الزاهية ؟ أقول :
نحن سطر في سجل العناء ، وسر في ضمير الفناء ، ولغز في
دفتر القضاء .. فإذا متنا كانت الأخلاق قد ماتت قبلنا ،
فكأننا بدونها لم نخسر شيئاً في الدنيا سوى آهة تعقبها آهة ،
وآه من الآه .. وهكذا تنتظم خرز الآهات بعضها بعضاً ..
فطوراً تبدو منسجمة منتظمة .. وطوراً لا يعرف الانتظام
والانسجام إلى شكلها سييلاً .

عشنا فأنكرونا .. ونموت فيذكرونا ، ويحسدونا ،
ويظلمونا فوق نكراهم . فلعلهم يبحثون عن ضالتهم المنشودة
وغايتهم المفقودة .. ألا وهي الأخلاق .. وهم في حرمانهم
من متعها تراهم لا شاغل يشغلهم سوى طعن الكرامة ، ومس
الشخصية ، عليهم يصلوا إلى ثقافة خلق وتربية نفس .

مساكين .. كم هم ضالون !!

فعيونهم غفلت ، وقلوبهم غلقت ، وأفئدتهم قدت من

صخر .. فسواء أكانوا أحياء أم أموات فهم بشر ، واقرأ
الفاصلة على هذا النوع من البشر .. وإن غرتك قوته المادية
والمعنوية فهو خال من الروح الحية المملوءة بالأخلاق الفاضلة
كما قال المعري رحمه الله :

ومجد الفتى أفعاله لا الذي من قبله كان ولا بعده
ولو لا سجاياه وأخلاقه لكان كالمعدوم في وجده
والآن ، وبعد أن ظلموني بالتشاؤم أو ميل إلى .. وماذا
أقول في زمن كزمننا هذا .. فيه الظلم مباح ، وكسر الكرامة
مذاع .. وما عساني أن أقول غير كلمة : واشكراه .
إليك يا أستاذي المعري أنا مدينة .. فقد علمتني الصبر
والتجملد حتى ولو طعنوني في الصميم .

لا تظلموا الموتى فإنني أخاف عليكم من الردى أن تلتقوا



وأخيراً .. خاب الأمل

لا غرابة في هذه القصة أيها القارئ الكريم ، قد تكون حقيقية ، وقد تكون خيالية ! وقد تجمع بين الحقيقة والخيال . ومن الغريب جداً أن تدهش أو تذهل .. فاليوم يوم تجد فيه الكذب والبهتان مباحا .. ولا أعلم : أهى نهاية الحياة ، أم بدايتها ؟ حيث كنت قد نوّهت في إحدى كتاباتي أن الحياة مزيج من مادة مجهولة تبعث إلى الحيرة والتأمل .. ولكن بأى منظار ؟ إذن فاصغ !

توفى والد « مى » عن عمر يناهز الستين عاما قضاهما في البر .. وخلف ورثة له فتاته « مى » وأخاها « سامى » وقد نعما ربحاً من الزمن بميراث والدهم .. وبعد مدة وجيزة أعقبته الأم لإصابتها بمرض القلب . وهكذا أصبحا يتيمى الأب والأم في إرث مشترك واحد ، فتحاور الناس في التقرب والتودد إليهما .. ومن إشراق الشمس وضحاها أخذت المالية في التدهور رويداً رويداً ، حتى أشرفا على عسر القوت .. وكانت الفتاة لم تكمل دراستها الابتدائية .. تبدو أنيقة المظهر ، جذابة الهندام ، فيها من طراوة الجاذبية ما جعلها موضع الحسد بين معظم الجنس اللطيف .. ولم

تكتف الأقدار المتعاقبة أن تحرمها حنان الأمومة ، بل
أخذت تتقرب إليها كأنها صديقة وفية .. فدارت الأيام ..
وشاء الزمن أن يلعب بأوتار قلب هذه الغادة ليمتحنها . وهكذا
فتحت الأقدار صفحة جديدة للفتاة ، فقد تعرفت يوماً ما
على شاب يدل مظهره الاصطناعي بأنه من نوع يلفت نظر
الفتاة . وهذا ما جعله موضع الحسد بين خلانه .. والغريب ،
أيها القارئ الكريم ، أن بعضاً من الفتيات يحلو لهن التقرب
إلى مثل هذا النوع الارستقراطي .. ولا أدري ما السبب ؟
وهكذا أصبح ، ولأسميه « نبيل » ، وإن كانت بعض الأسماء
لا تليق بأصحابها في موقف لا يشار إليه بالبنان فحسب ، بل
ذا جاذبية ، هي التي جعلت معظم الفتيات يتوددن للاقتراب
نحوه ، وخصوصاً الساذجات ، ومنهن طبعاً كانت « مى » .

أما كيف بدأ التعارف ، فبعض يقول بأن نظرة قد فعلت
فعلتها .. ويدعى الآخر بأن أخاها كان السبب لو ثوق عرى
الصدقة بينهما . ومهما يكن فحدث ولا حرج ، والذي يعنيننا
أنهما كانا على صلة وكفى !

وكانا على عادتهما لا يفترقان .. سواء إلى مشاهدة
بعض الصور المتحركة ، أو السير جنباً إلى جنب على شاطئ
أبي نواس :

ومشى الهوى بهما كعادته والبحر لا يخلو من الزبد
وتمكنت الصداقة بينهما .. وتوافرت الأدلة على أن
زواجهما أصبح أقرب من الحاجب إلى العين لثقتهما ببعضهما .
ولكن الشاب ذو المظهر الاصطناعي .. يتصنع حتى في حبه
وإخلاصه .. ومن النادر أن تجد مثيلا له . وعلى ذلك فالفتيات
اللاتى يحرفهن تيار كهذا من المرتقب أن تطأهن عجلات
الحياة به . وما أن حان وقت الزواج الشرعى .. وأخذت عينا
الفتاة القريرة تستعلم عن مواعده استفسارا .. حتى أخذ « نبيل »
في بماطلة الوعود بأنه والزواج على طرفى نقيض ، ليس منها
فقط ، وإنما من كل واحدة ، وما صداقتهما إلا بريئة خالية من
الأغراض والمقاصد ! فبقيت حائرة بين أمرين : فهى إن باحت
قتلها الخجل والفشل ، وإن قنطت ساءها وأودى بها اليأس
إلى وضع خطة لحياتها ، إما الانتحار أو الإدبار . فأناس قالوا
انتحرت غرقا .. وآخرون ادعوا أنها هربت .. ومهما يكن من
أمر .. فالناس يهتمهم التفتيش والتنقيب حتى فى خلايا النحل
ليتمسوا الشهد .. وهكذا ترعرعت « مى » بين غنى يهبها شوقه
وحنينه ، وفقر لاذع مر يؤلمها امتحانه ومقاومته .. وكانت
فى فقرها وغناها من الفتيات اللاتى تسرعن بتمثيل دور الحياة .
إلا أن عوادي الشقاء إذا نشبت مخالبها فى إنسان لا تدعه

يقف على قدميه دون أن تقذف به كالكرة .

وإني أريد أن أسأل القاريء العزيز : على عاتق من يقع ظلم « مى » سواء هربت أم انتحرت ؟ . فالحالتان فيهما الشك ظاهر ملهوس . . على عاتقها وقد كانت صغيرة السن ؟ أم على عاتق « نبيل » الذى كان خبيراً باقتناص الفتيات أمثال « مى » ؟ أم الزمن الذى جعل الحياة فى نظر الجنسيتين سخرية . . فباتت الوعود والوثوق حذاء يخلع فى كل آن . ومهما يكن فكل أمرى خلقه وسريته . . وخلق زمننا هذا على السرعة والنور والغرائب والعجائب !



ليت القدر يعف حين يقسو!!

هذه عبارة يرددتها في فيسمعها قلبي ، وتلمسها يدي
فتحسها أنا ملي . . كمن يعزف على قيثارة الحياة ليفتش لحنها
الضائع وأملها المفقود . . لذا أردت أن أعزف لحنها ،
لا ليسمعها الناس فيلومون العازف والمعزوف ، بل لتسمعها
نفسى كذكرى سجلها قلبي العاجز الضعيف على صفحة زمني ،
فبانت الحياة من جراء تسجيلها بمنظار كالثوب البالي . .
قالت صديقتي رحمها الله :

— أى شيء على هذه البسيطة يستطيع أن يمنحنا
الهناء الدائم ؟

فأجبته بهدوء وقد ظننتها مزاحية :

— تبارك الله . . . إنه لا يحرم إنساناً من ناحية ،
إلا وأغدق عليه أخرى .

— لم أفهم ماذا تعنين ؟

— أعنى الكل سواء ، ما من أحد أقل من غيره مهما

يتصور .

فاستغربت وأردفت قائلة :

— أياخذك العجب لو قلت إنى فتاة كذب، وغال فى الكذب من ظن بحسن طالعى .

— ما الداعى لهذه الأوهام يا عزيزتى ؟

فأجابتنى والدموع تفيض من مآقيها :

— عهدى بك زيارتى الأخيرة .

— مستسافرين . . على خير .

— نعم سأسافر إلى حيث لارجعة !

— خير إنشاء الله .

— أما علمت أنى جريحة قلب لم تلتحم أنسجته على أثر

سهم القدر !

— بالله عليك . . أجادة أم مازحة ؟

فردت ببرودة متناهية (كمن أعيته أثقال الحياة فبقى من

جرا عيبتها الثقيل نائماً وهو لا يدري أكان الليل الباكي

أضناه ، أم ضوء النهار أشقاه) :

— وأى شيء فى الحياة يقال له حقاً أنت جد أو أنت

مزح . . .

قالت ذلك وراحت تنفث دخان سيكارتها فى أنين خفى به

حركة وحرقة وضنى !

فأجبتها كمن لامست حرقة زفيرها وجهه :

— تريثي يا دادة .. فعهدى بك فتاة صابرة .. ما تصدع
قلبها من جور الزمن ، ولا هددته أحداث الأيام .

فقاطعتني وصوتها يكاد يختنق :

— ولكن عصفت به عاصفة اكتسحته من عروقه فبات

والعيش ضيف غريب عاش بقلب ومات دون تحسس بقلبه !

— وما هي قصتك ؟

فردت على الفور :

— أتذكرين . يا أختي ! ..

— بلي والله .

— ماشأنك بأيامنا ؟؟

— مضت بخير !

— ألا يزال الخير خير ؟

— ذاك ما أرجوه وأتمناه ! ..

— أما سمعت عن شقائي ؟

— (بعجب) وأى شقاء هذا الذى تدعيه ؟

— آسفة ! .. لقد أهملت صداقتي الأولى مذ كثر تودد

بنى جنسنا نحوك .. أليس كذلك ؟

— لا .. لا .. لا تقسى علىَّ يا دادة .. كوني معي

صريحة ، ولا يأخذك مأخذ .. فأنا تلك المخلصة ، الباقية



صدقتها على ما بقى الدهر .. يهملها ما يهملك ويعنيها ما يعينك ..
أأمنت بحسن نيتي ؟

قالت بتذلل أقرب إلى الذل منه إلى الانكسار :

— دعينا يا .. من المزح !

— أهذا مزح وقد قلت لاشيء في الحياة يستوجب الجد

والمزح .

ضحكت رحمها الله . وقالت وهي تعاني غربة الحياة :

— وبعد .. أما أن لك أن تسأليني من أودعته عصارة

عقلي وخلاصة تجاربي !

أما آن لك أن تسألني عن موضع آلامي ومستودع
أحلامي !

سلي بصراحة عن فتي وهبته قلبي ومهجة كبدي .
سلي فتاة مسكينة تكسرت آمالها على صخرة القدر !
وانحدرت على خديها دمعة بللته ، وكانت تحاول
الاستمرار في الحديث ، ولكنها تجد صعوبة وهي بين آن
وآخر تنهد بسعال جاف يشير إلى مرض كانوا سابقاً يعزونه
إلى العشق والهيام .

فغيرت مكاني ، واقتربت نحوها أبادلها عذب الحديث
وأهون عليها :

— أنسيت الله يا أختي ؟

— إلام أذكره وقد فجعني في أعز شيء ، وحتام استغفره
وقد آلمني ؟

— هوني عليك .. فالبشر كالغصن الميال إذا هبت ريح .

فراق لها حديثي واستمرت :

— ما أسعد من ذاق الراحة ، فأمن عليها وما أشقى من

ذاقها فخرمت منه !!

وإليك الحكاية من أولها :

قبيل وفاة أبي بأيام معدودة عقدت خطوبتي عليه ...
فقال العزاء دون زواجنا ، وإذا بنا ننتقل من فراق إلى فراق .
قالت ذلك وتأوهت آهة ينخلع لها الفؤاد .

مضت أيام وتمعتها أشهر . وخطيبي يعاني مرضه العضال
ولكن - ولم يبدو أسفى شديد للسكن - الأقدار تحوم على
البعض بجناحيها كالفراشة ، وشاءت لتعاسة الحظ أن تحوم
حول رحيقنا لئلا تمتصه !

— رأيت ما حل به ؟

— ماذا ؟

— مات ضحية السل !

أما أنا .. فبت كالفاسم المشترك الأعظم كلما جاريت
الدهر في أحكامه لن أجد عزاء لنفسى إلا الضيم والصعاب !
وأخيراً سأسافر غداً إلى لبنان لأصبح نجمة من نجومها
المسلولات .. حبيبتي يا أختى واذا كرّني وتقبلى وداعى بقبلة
تجمع مر الحياة وحلوها .

وما أن خرجت حتى هجم على نفسى طوفان من الدوافع
والهواجس الانسانية رافة بشبابها الزاهر . وطال صمتي ،
وأبى منطق الكلام .. ولم يزل صمتي وذهولى يفتش عن كلمة
مجهولة لتتوب عن سرّ الحياة الغامض ولحنها التائه ، فإذا بي

أردده لأسمعه وألمسه لأحسه فأعزفه وأجهله !...
ولم تمض مدة على سفرها حتى وافاها الأجل (الذى فى
انتظار كل واحد منا فى يومه) وجاءتنى رسالة حوت أمر
الذكريات ولا زلت محتفظة بها .

وإنى أريد أن أسأل القارىء الكريم : على عاتق من يقع
ظلم هذه المسكينة ؟؟

أهو القدر ؟ .. أم الخالق الذى زخرف الطبيعة بحكمته
الجبارة فزاد بلاها وعناها ؟ أم سوء طالع البشر ؟ أم ماذا ؟
أقول أعوذ بك يارب واستغفرك !

لقد أمنت بأن الأنام دول .. والدهر دولاب .. فكم
عزيز قد ذله الزمن .. وكم ذليل قد عزه الزمن .. وكم
من ملوك كانوا أسطع من النجم فضاعوا وضاعت حتى
ذكراهم ..

يا بشر لم الغرور فى هذه الدنيا !

ألا تؤمن بالمعرى ! وقد قال :

فما الدنيا بباقية لحي

ولا حي على الدنيا بباقي

ألا ليت القدر يعف حين يقسو !

قلبي على طاولة التشريح

أحدثك أيها القارئ بصراحة ، وإن كان الاعتراف
بالصراحة في زمننا هذا يعد جناية !

ومهما يكن من أمر . . فالجنايات عديدة والذنوب كثيرة
ومن لم يقترب ذنباً يعاقب عليه فلعله يغرم بجناية قامت بها
إحدى الأرواح فتلقاها هفواً وعفوا . .



قد يكون قلبي محكوماً عليه أو معاقباً
ولكن جنايته وعقابه . . سلوى . .

تجمع الفرح أكثر من الفرح . . تعود

على امتنانها . . تبعاً لما أحاطته من ظروف . . فاستنبط من
الضيق فرج . . ومن التعاسة سعادة . . كمن يألف نشيداً بغدادياً
يردده في سويغات فراغه . . ولا تنس فكل امرئ على وجه
البسيطة . . لن يخلو شعوره من الألم . . والحسرة . . وكما تعلم
أن الحياة للقوة . . ومن لا قوة له لا حق له وإن كان
صاحب الحق . . وهذه سنن عصر النور والسرعة . . وإلا
لماذا سمي بعصر الغرائب والعجائب . . ؟

لذا استعمر عقلي قلبي . . فبت لضعف قلبي وقوة عقلي
وسيطرته أتذوق شيئاً من السعادة . . وشيئاً من القناعة . .

أغبط عليهما.. وإليك الفحص الطبي.. (الأدبي والفسولوجي)
ولكني أخشى أن يتنافس الطبان الأدبي والفسولوجي لتفاوت
النظرات.. وتباين الآراء.. وما دامت الحياة دار تجمع
ما يختلف، وتقرب ما تبسبب.. فأنصت.. وسواء أعددتني
مجنونة أو عاقلة.. فلن ولم يعد يهمني ما اهتمتني فيه أو تحاول
اتهامي.. فكم من متهمين أبرياء.. وكم من أبرياء متهمين..
هكذا الحياة تهمة وبراءة.. ولا تنس فيني فتاة.. لاتهمها
التهمة ولا تهمها البراءة.. ودیعة ورهن وداعها التجارب..
لا الأقوال الباهتة.. التي تفتقر إلى الأفعال!

في سكون الليل البهيم حيث يخيم الظلام على النفوس
فتبكي لبكاء الطبيعة وتنحب لنحيبها وأنت تجهل سبب بكاءك
وبكاءها.. جلست أكتب مناجاة.. أناجي بها سكون الليل..
وهو عنوان كانت قد خصتني به إحدى الصحف البغدادية الغراء
ولم أكد أنهيه حتى شعرت عيناى برحمة النوم تخيم عليها بشوق
وهى بين يقظة تدنوها للتأمل، ونفس تدنوها من النوم! وما هى
إلا رهينة همسة حائرة.. وأمل خلاب..! وبينما أنا كذلك
لم أشعر إلا وروحي تحوم مع أرواح العلماء.. والأدباء وكبار
الفلاسفة والعظماء.. تارة تنظر إلى جسدى وترنو إلى الاقتراب
منه.. وطورا تفوز ببعدها.. فوضع جسمى على طاولة

التشريح .. وتناسر الشعر على وجهي ، ويدي لا تقوى رفعه
ففتح القفص الصدري ببطء .. وكان صالون العمليات
الكبرى قد هيء للنناقشة .. فهام الأطباء .. وملائكة
الرحمة .. قد أخذوا أماكنهم .. فأخرج البروفسير المرحوم
الدكتور إبراهيم .. « بريم » قلبي ووضع في وعاء فسيح
الجوانب ... وطرحه جانباً على منضدة هيأتها له رئيسة
العمليات ... وقد خولت الطبيعة ثلاثة من علمائها للتوقيع
على محتويات هذا القلب وهم كل من :

المعري : رئيس الهيئة

شكسبير : نائب الرئيس

بيتهوفن : العضو

الكاتب : (فقيد الشعر والفن) جبران خليل جبران .

يبدأ شكسبير بالحديث :

شكسبير — لولا قابلية هذا القلب لما احتفل هذه

الطراوة .. بالرغم من امتقاع لونه ..

بيتهوفن — إن أذني لا تطاوعني على السمع ... فلقد

أعيتها طباع (الناس) وحيرتها اصطلاحاتهم الأخلاقية التي

يدعونها آداباً اجتماعية إلا بصعوبة .. فاكتب عبارة شكسبير

يا جبران ...

فامتثل جبران للأمر .. وتناول ورقة ليسجل
القول .. وما أن وقعت عيننا بيهوفن على الكلمة حتى أن
بنغمة الخلود .. وراح كأنه يثلج صدرى .. فنبض قلبي للحن
بيهوفن تأييداً له .. واندفع جبران بخيالاته الشعرية والفنية ،
وسادت فترة سكوت .. والمعرى لا يبدى حراكاً .. فقال
بعد أن أعياء الوقوف :

— تعال يا دكتور إبراهيم .. وافتح هذا القلب على
أن تحترس من مبضعك الحاد .. فيهفو هفوة تعاقب عليها
عشرة أجيال لحسن نية هذا القلب .. كما يبدو لنا .. (وإن
كنت أعمى) حيث القلوب السالمة النية الخالية من اللؤم
والحسد .. يندر وجودها .. ويصعب تفسير مكنوناتها .

فتح القلب .. ونظر إليه بإعجاب .. فاذا به (حرف ميم)
وصورة قريبة من وجه المعرى .. ولشدة النظر إليه ..
ذهل الجميع وصاحوا : يا .. يا للفرح .. وباللهبظة .. فذعر
الجراح وضغط على رأسه خوفاً على عقله من الهرب .. وكاد
ينسى عليه .. فقال المعرى :

— علمت ما في قلوبكم يا علماء الطبيعة .. جردوا محور
الحياة من سداده .. واقتربوا رويداً رويداً إلى الحرف الذي
تغنوه وافعلوا حسب أمرى ..

ففعّلوا ما أشار به عليهم ، ولـكنهم لم يحدوا ما يدعونه
بالميل الروحي .. اللهم سوى دقات متفاوتة ... تشير أبلغ
الإشارة إلى تأييد فكرتهم .. وهنا اغتاض جبران الصريح ..
وجرّأته .. ليجادل المعري .. مع احترامه لفلسفته
فاندفع غير آبه لفلسفة ولا مناط بعلم .. فاقترّب نحو المعري
قائلاً وهو يتسم :

— سؤال بسيط يارهين المحبسين .. أسمح ؟

المعري — تفضل ..

جبران — أتعقل اقتراحي ؟

المعري — مع الاحترام ..

جبران — وأنت ياشكسبير ؟

شكسبير — أؤيد اقتراحك ..

جبران — مارأيك .. يابيتهوفن ؟

بيتهوفن — أراك سكيراً بخيال الطبيعة يا جبران .. ألم أقل

لك .. لا أفهم الإشارات .. إن أذن لا تعينني

على السمع .. اكتب هذه العبارة يا جبران ..

جبران — أجل .. اقرأ ..

بيتهوفن — لا مانع لدى .. طالما جمعتنا وليمة أنس وطرب .

جبران — إن الصداقة الروحية لتتعدم عند المجادلات ..

حتى لو كان ارتباطها لحم ودم... إذا وقعوا على اقتراحى
للمعرى.. فإني أهابه وأحترم علمه وفلسفته..
(وقع الجميع)

— اقترَب يا أستاذنا المعرى.. واشرع قلبك للتجربة..
ففعل وراح يدنو كما أمره جبران.. فالتصق القلم بحيث
تعذر على هؤلاء سحبه.. إلا بهمسة فلسفية قالها المعرى! فضج
الفقهاء.. وتهامسوا على ميل هذه الروح واعتقادها بآراء
المعرى.. والمعرى ساكت.. لا ينبس ببنت شفة.. وهو
(بجبة) المحاماة.. فصاح قائلاً:

— أيها الزملاء.. أيها الإخوان.. حدثوا ولا حرج..
فلا يعنينى ضجيجكم، فلى رأيى ولحكم رأيكم.
فالتسوا بأنهم وإياه على مزح.. دفعهم خيالهم إلى
ماظعنوا حتى إذا أغضبته حديثهم فالمعذرة.. فتابع قوله:

— إن خيالكم أحياناً
جناية على نفوسكم..
حيث تصورتم للميل
الروحي.. إنه حرف
(ميم).. وبعبارة أخرى.. إذا تبادت حدقة الرؤية خيالاً



يندفع المرء .. وراءها كالفرس الأصيل .. فيتصور حسب
ما حدا به الخيال .

إذا فالميل الروحي .. الذى تطبعه مديّة الطبيعة على صميم

القلب هو البلسم الشافى ليقنعكم على أن الفتاة عاشقة على ..
ورائية لظلمى .. فهامت به .. ولا غرو من إعجابكم .. حيث
الفتاة لو عاشت فى عصرى .. لذب الناس ودب من كل صوب
وحذب .. لالعشق يتهمونى به .. بل ليضوا وقتاً يتحسسون
بعبه . فيالبئس حظى التعيس .. ما ضر الزمن لو رجع بفتاة
الإنسانية إلى الوراء .. أو لقربنى إليها فى هذا العصر .. فهى
الوحيدة التى شعرت بأنى فى حاجة إلى من يكتب لى سطرأ ..
أو يقدم لى فنجاناً من القهوة .. فرثنى ميتاً فاتهمموها لرثائى .
وهنا دمعت عيني المعرى .. فكفكفها بيهوفن .. وراح
عميد العقل .. يضرب مثلاً تلو مثل .. وعبرة وراء عبرة ..
وبرهاناً بعد برهان .. وهو ينشد :

لا تذكروا الموقى بسوء إننى

أخشى عليكم فى الردى أن تلتقوا

فلحن بيهوفن هذا البيت وأنشده .. (باللغة الإنكليزية)

فأطربوا الجميع وأنا معهم .. وهكذا أعيد قلبى إلى مكانه بعد
براهته .. أما الروح فكانت معلقة .. سابحة مع طيور العلماء ..

فنبهها المعري ورجاها بالرجوع حتى يحن طيرانها .. فصاغت
المعري .. وهي تقول :

إليك يا مثلي الأعلى .. آهة أبعثها من بغداد .. هذا البلد
الذي أحبيته .. فلعل الذين واللائى ظلهوك حياً ينصفوك
وأنت ميتاً .

فودعته وأنا أقول : كيف أودعك يا مثلي الأعلى وقد
علمتني المجد خلقتا ..

فيا أيها المظلوم حياً وميتاً لا تيأس .. فلقد جاءتك
عبدتك تحميك من بغداد .. وحسب الذين واللائى
يظلهوك بتحية في كل رثاء ..

فانتبهت من نومي .. وأنا أمسح قطرات العرق التي
تصببت فوق جبيني .. من أثر الرؤية .

ألا ليت الأحلام تتحقق .. فنسبح مع هؤلاء .. في جو
الشعر والأدب !



ترى من هي .. ؟

[عرفوها لغزاً فأنصفوها]

سبحان الخالق .. فلقد خلقها وصورها في أحسن صورة ، وصبها في قالب الجمال والجلال ، ثم زخرفها وبالغ في فتنتها حتى جعلها تحفة من التحف الربانية ، وآية من آيات البدع والإبداع والروعة والسكال .. فتحسبها إذا نظرتها وصاغتها .. أنها (شيطان ملاك) .. طاهر .. هرب من الجنة بثياب البشر !!

ترى من هي ؟ ؟

هي التي عاكستك فجعلت ليلك نهراً ونهارك ليلاً واقفة بالمرصاد .. دائبة في صعود وهبوط متناهيين .. فصعودها ألم ، وهبوطها ضنى . فإذا أقدمت ضعيف .. وإذا تقهقرت ضعيف .. فلا تغرنك .. فهي نبع الألم .. وأساس الضنى .. ومصدر البلاء والعناء .

ترى من هي ؟ ؟

هي التي استطارت بقلبك الضعيف من عالم الحزن واليأس إلى عالم الفرح والمتعة ، فجعلتها صديقاً وفيّاً ، وحسبتها حبيباً مخلصاً ، وتصورتها أما رؤوم ، فأودعتها حسن ظنك

واستضعفتها واستغللتها .. فقلبت نعمتك نقمة .. فضنتك
الآهة ، وحزتك الحسرة ، وأنت لا تدري أخلقت من مادة
شيطانية ؟ أم من مادة إنسانية ؟

ترى من هي ؟ ؟

هي التي جعلت حديثك حلو .. وقلبك طاهر .. وذيلك
عفوف ، ونفسك أبية ، ومجدك خلقك . يتمناك الأصدقاء ..
ويتربك الأعداء .. ويتلهف لشوقك بوجودها ..
الأمناء والأنبياء ! .

يا ترى من هي ؟ ..

هي التي أخطأت حظك ، وتجاوزت نعمتك ، وقضت
عليك بعد هذا وذاك أن تعيش شقياً تتقاذفك الآهات .
وتتعاصرك اللوعات .. لا تعتمد إلى عمل من الأعمال
إلا وأدركك الإخفاق ، ولا تنهض إلى أمل من الآمال ،
إلا وأثقلك الفشل . فتنهض ، وأنت تتعثر في خطواتك ..
فلا تستطيع النهوض ولا تقاوم القعود .

يا ترى من هي ؟ ..

هي .. هي .. التي جعلتك مستغرقاً وذاهلاً .. في فنون
الاستغراق تضحك ، وفي قلبك الهم .. وتبكي فتتجاوب بين

ثنايا فؤادك نغم يشير إشارة صريحة إلى ما تعانيه نفسك
فيها .. فإذا سيجارتك سكر .. وجرة كأسك ثمل ...

تري من هي ؟ ..

هي التي جعلت مدامك وابتساماتك كأس ندمانك
وحرمانك ، فطوراً تبدو دمعة فتكفر .. وطوراً ابتسامة
فتغفر ، وطوراً تجمع الدمعة والابتسامة وهي في كل طور من
الأطوار .. دموعك هاملات .. وحسراتك متناثرات ..
وعيونك تائهات ! ..

تري من هي ؟ ..

هي التي قاسيت منها آلامك ، وكابدت حرمانك ..
وعانيت أحداث زمانك ، فلقيت فيها أفراحك .. وفيها
أتراحك .. وفيها حيرتك ...

تري من هي ؟ ..

هي التي جعلت لياليك طرب .. وأيامك عذاب ..
وأمانيك غناء .. وآمالك خضراء .. فلاعبتك واستضعفتك
وجمعتك وفرقتك ..

تري من هي ؟ ..



تري من هي ؟ . هي المرأة

هى التى قست فأشقت .. وضنت فأحلت ...

ترى من هى .. ؟

هى .. تجمع البخل والإحسان .. والقسوة والحنان ..
والتمتع والحرمان .. والعدل والبهتان ...

ترى من هى .. ؟

وأخيراً .. هى التى آمنت بك وأذعنت لمشيتك فتهفت
بحياتك لأنك الحياة .. فقذفها كالسكرة .. وقضت عليك ..
خبتك وأحيتك .. وكرهتك فأماتتك ... !!

ترى من هى .. ؟

يا أخى هى المرأة .. فحذار .. حذار منها .. فلا خير
فيها سواء أكانت شيطان أم ملاك ... !!



قلب ينفجر !!

ترى ما الذى دعاها لتحدثنى .. أهى الدمعة ؟ أم
الابتسامة ؟ ومهما يكن فالحياة مواقف غريبة يختار البشر
ليقود دليله إليها .. فطوراً تبدو أمامه دمعة فتتهز عواطفه ..
وطوراً تبدو ابتسامة فتهدأ نفسه الشائرة .. وطوراً تبدو
بشكلها الحقيقى فتجمع الدمعة والابتسامة .

وفتاتى التى سردت علىّ هذه القصة فى استطاعتها أن
تمثل دمعة الحياة وابتسامتها معاً .. فتخالها إذا حدثتك
وجاذبتها أطراف الحديث .. ما أنت إلا أمام كأس
ندمائك تتجرع دمعة إثر دمعة ، وابتسامة إثر ابتسامة ،
لا لكونها دمعة ... ولا لكونها ابتسامة ، بل لكونها بين
بين فى دمعتها وابتسامتها . وسواء أكانت هذه القصة نموذجاً
مصغراً أو مكبراً .. فالمنظار منظارك .. لامنظار فتاة
الإنسانية التى حدثتني بالقصة كما يلي :

المشهد هو : .. غرفة فى الدرجة الثانية فى المستشفى
الملكى بها سريران شغل أحدهما شاب وسيم الطلعة كلفنى
الطبيب بعنايته .. مريض .. أثبت الأقدار أن تمنحه كأس

الراحة والهناء .. فانفجر قلبه على أثر سهم الهوى ،
فتخلص ، أو اعتقد أنه سيتخلص من ويلات ضعفه بجرعة
سم زعاف .. إلا أن بغيته طالت .. ومعالجته استوجبت
بعض الانتباه والدقة . وكنت إذ ذاك حديثة العهد .. بالفن
الإنساني وأصول مداراته .. ولشد ما كان الميث يخيفني ..
ففي كل حركة من حركات المريض .. أتأوه كأنى أقاسى
الآلم .. ولا ألبث أن أقوى عزيمة بهذه العبارة وأكررها هو
أن التمريض مهنة إنسانية خالدة .. ومالى ولهذا التضحية إذا
تقاذفتى آهاتها وأناتها .. دعينا يا آنسة من هذه المسألة ..
فلها حديث خاص أضيق بسرده الآن .

فانصت لما حدثنى به فتاة الإنسانية حيث استطردت :
— وبعد أربع ساعات فتح المريض عينيه باحثاً عن
شخص يرجونى ويستعطفنى أن أبدى ما فى وسعى للعشور
عليه .. فرفعت بصرى يمينا وشمالا . أعلى وأسفل .. لأقتش
عن شيء علنى أهتدى إليه .. حتى تحت الأسرة .. ولما لم
أجد بد اقتربت نحو الفتى وبابتسامة خفيفة وبكل لطف
وحنان فكأنى الوحيدة التى مسه عطفها وحنانها ..
وهنا استعادت الفتاة أنفاسها بشهيق خلتها ستكتمه
طويلا :

— بدأ .. بدأ يهذى بنوبة عصية قريبة من الذهول
والاستغراق .. وصاح بخشونة :

— وداد .. حببتي وداد .. إلى أين .. إلى أين تريدني
أن تذهبي .. أنا ذاهب .. هل أنا جاني .. فأريني جنائتي ..
ياوداد ..

وأخذ يئن على الفراش فأقترب منه وأهدئه بعبارة
رقيقة :

— استغفر ربك .. إن الله مع المساكين ..
ولئن ذهل واستغرق مرة .. فلقد أذهلني خوفاً واستغراقاً
مرات .. فخشيت أن يلاحظ استغرابي وخوفي .. فبدأت
أكلم نفسي بنفسي لكي أبعد عنه الشك .. ترى من هي
وداد .. ؟ وما شأن هذا المسكين منها ؟ وما شأنها منه ؟
أخطيبيته .. ؟ أحبيبيته .. ؟ أزوجته .. ؟ ! .. ! الخ .

وبين خوفي المخيم على نفسي واستمرارى به ، وإذا بكف
المريض تعلو جبينه فيقذف بها كالحجر نخلتها سقطت على
لاعليه .. فارتعد .. وعاوده الاضطراب النفساني فصاح :
— أيتها القاسية ! لا ترحمين قلبي المتفجر .. أنت عوني ؟
أم فرعوني .. ؟ ابتعدى عني .. فلا أريد النظر إلى وجوهكن
يافتيات حواء .

فوجئت صامئة وهمست : ماذا به ؟ وتصورت كأننى
 المجرمة .. فسألت الطبيب المستول .. فأخبرنى أنه قيد الخطر
 طيلة ثلاثة أيام .. فقط امنعنى عنه الزيارة بالمرة ..



فأشحت بوجهى وأنا أختلس النظرات .. ووداد أيها
 الطبيب .. إنه لا ينفك عن ترديد اسمها .. فى كل لحظة ..
 أأمنعها وهو مشرف على النهاية .. فأجابنى بحدة خلت هارون
 الرشيد .. فى ساعة غضبه :
 — هذا شغلك .. والا شغلى ؟ .

فاغرورقت عيناى بالدموع وتحاملت الجواب عليه
بكلمة أدبية فلقد أثرت خشونته على شعورى فلعنته باطناً ..
وأجبت بهدوء :

— والله لا شغلى ولا شغلك ولكن شغل القدر الخائن
الذى جعل بعض البشر تحت رحمتنا .. والمرء يا طبيب
الإنسانية وكما تعلم ونعلم يحيا بإنسانيته ، والإنسانية نفسها إذا
رأت الناس يتكلفون بها .. فلا تود تسجيلهم فى دفترها
الخاص .. وعليه فلا خير فى إنسانية يتصنع لأدائها البعض ..
ويدعون أنهم من أحفادها .. فكلما ته يافى الإنسانية تثير
حتى القلوب التى قدت من صخر .. فقاطعنى .. فقلت :
دعنى أكمل .

— ولحدائة عهدى بالفن المثير للشعور الإنسانى كان
الأجدر بك أن تعذرنى .. لا تقابلنى بتلك الخشونة الجافة ..
التى لا تليق بالرابطة الإنسانية .. أن تقبلها !! .

فكشتر عن ابتسامة واعتذر .. وهو يهدئنى .. (وهام
ياقارئ العزيز معظم الأطباء لاسيما فى الشرق يتصورون كمن
كن يتغذين على فتات مائدتهم .. وهم فى وصفهم الجازم ..
يتمنون لو تضاهى الممرضة الشرقية أختها فى الغرب) وهنا

تنفست فتاة الإنسانية الصعداء .. ولم تلبث حتى تابعت
القول :

— قال الطبيب افعل ما تشائين مع وداد .. واحرصي
على تهدئته ..

فاستطردت الأنسة فرحة ، وكأنى أصبحت صاحبة
الامر .. والنهى .. إذا سأراعى مريضى أولا .. وسأتبع
القصة ثانياً فاهتديت إلى حل واحد .. به أستطيع منع الزيارة
فلأضع ورقة أكتب فوقها .. كما هو المعتاد .. لبعض المرضى
المحظورين .. وغير المحظورين قصد الراحة (الدخول ممنوع
بأمر الجراح الاختصاصى) ولم أنته من وضع أمرى الذى
اخترته وإذا أنا بفتاة مقنعة (ترتدى عباءة) تجر أقدامها ..
كسكير أثمله الألم .. فناح تحت عبئه الثقيل .. تتقدم فتحيينى
بلهجة فيها شيء من الاستعطاف والالتىاع .. وسألتها :

— من أنت ؟

— أنا .. أنا وداد .

قالت اسمها .. وأطبقت رأسها على الورقة التى قرأتها ..
ثم رفعتة ثانية بدموعها الهاملات .. تلتمسنى الدخول ..
فعطفت عليها .. لمرآها الحزين .. وقلت :

— إنها ليست لك .. بل لغيرك .. فادخل .. أدخل
بسلام وهدوء .. وحذار من مفاجأته .

(وهنا منظر له تأثير على الشعور الفياضة) .. تقف
وداد وراء الستار .. والمريض يتقلب .. شيئاً فشيئاً ..
يهذى .. أريد ماء .. فأسعه بالطلب حالا .. فينادى ..
ويكرر نداه : وداد .. وداد ..

— ستأتى قريباً .. ورجائى إليك أن لا تكلف نفسك
أى طاقة ..

فالتسنى إلى الجلوس بجانبه وراح يسرد على قصة
انتحاره .. ومهما حاولت يا آنستى فى أن أمنعه فلقد أحاول
المستحيل .. فإذا محارلتى تزیده الماء .. فتركته كما يهوى ..
فتأوه وهو يقول :

— مات .. أبى وأمى .. ولم أذكر من خيالهـما شيئاً ..
فتعهد بتربىتى عمى .. فما شعرت بيتم كيتمى فى هذه الساعة ..
(ودمعت عيناه .. فسحتهما كما هو أصول الفن الإنسانى ..)
وما أن واصلت دور الشباب .. وإذا بى قبالة طير ألفت
نغمته وألف هو الآخر .. وتمادى التآلف بيننا حتى انتهى
بنا إلى الحب المتين .. فحافظنا على ما يجب المحافظة عليه ..
حتى يحين الوقت .. إذا ما لى خائف .. الأمر بسيط ..
فلأطلب يدها .. ولأفصح لأبيها بكل ما يعتلج فى نفسى

الضعيفة تجاه الهوى .. فى الوقت الذى شجعنى عمى وزوجه
وفتحوا بيدهم تحت تصرفى فتسرعت .. وكان بوسعى الهرب
مع الفتاة .. وكـم كنت آسف .. حين أفضيت لوالدها بحى
فأجانبى بطرق الاعتذار .. زاعماً أنه لازال يضرر لى المودة
برأ بصداقة والدى .. وكـم يبدو أسفه شديد وعظيم حيث العادة
المتبعة عند المسلمين .. هو أن ابن العم مقدم .. وفى استطاعته
أن يجر بضفير ابنة عمه .. فسكرر أسفه .. بعد أن وضح لى
الحق .. فودعته وداع خائب مستميت دفنت آماله وهو على
قيد الحياة .. فبات لاهو بالحى ولاهو بالميت فشعرت بأختاه
بأرض حقيقتى .. هباء .. فلا عشوراً على الأرض ولا التماساً
إلى السماء .. طير غريب .. أشكو وطنى وداد .. تلك التى
حرمتنى منها الشريعة .. فلتعيشى ياوداد .. مع ابن عمك ..
ولأشقى فمن ديدنى الشقاء مذ تخلى عنى أبواى .

واستمرت فتاة الانسانية قائلة :

— وهنا انتفض المريض .. وهمّ أن يقوم من محله
فأمسكته بلطف .. فصرخ دافع العين : وداد .. وداد ..
أنا ضحية إخلاصك .. لله ما أقساک .

فخرجت وداد من وراء الستار قائلة وبنوبة لاشعورية :
لا .. لا .. طاوعتك لأهرب فقادك احترام أبى إلى التضحية

بنفسك .. إلى أين تريد أن تذهب وتدعني ، إلى عالم الحرية .. ؟ وهكذا ارتمت فوق ذلك الجسم تقبله بشوق ولطف ، خشيت أن أبعدها عنه فأخذش شعورها وهو مشرف على النهاية لا محالة ، وخشيت أن أفسح لها المجال فيتكلف المريض ويضطرب وهذا مناف لتلبية الأوامر .. فاقتربت نحوها في شيء من الحيرة والخجل :

— كفى ياوداد .. حافظي على تهديته .

وناديت خادم الإنسانية .. وكلفته بحسن المداواة .
وانصرفت إلى المدرسة تهزني دمة الحياة فألفيت الطالبات منتشرن هنا وهناك .. كطيور الجنة ، وعبشاً حاولت أن أتذوق ولو كسيرة خبز .. فقد تخمت من أكلة أحتاج لضمها أياماً طوال واستعادت نظري ذهولها واستغراقها .. ولم أنتبه إلا وقدح الشاي مائلاً قبلل المائدة والأسئلة توجه إلى ضمن الإغراق في الضحك :

— عظيم .. بماذا تفكرين يا فتاة الإنسانية ؟ .

— فيكن يا طيور الجنة .

— ألسن طيراً مثلنا ؟

— بلى والله ! ولكن أختلف عنكن لتغريدي لحن

القلوب الكسيرة .

— (دون مزح) . بالله عليك خبرينا بماذا كنت تفكرين؟

— أفكر .. يا عزيزاتي ، في السكون ، في الطبيعة .. في الحياة ، في ضجيجك ، في السمر فيكن ، والبيض منك ، وماذا تريدني أن أفكر أكثر من هذا ..؟

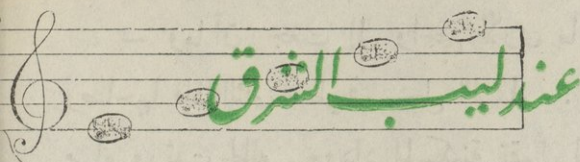
وهممت أن أنصرف فوقن حيالتي واعترضن طريق والتمسني أن أفضي إليهن بالقصة .. فرجوتن أن يتركن إعجابهن بالحديث ريثما أعود ثانية فإني في حاجة ماسة إلى مريض كلفت بعنايته .. ومصيبته مصيبة الطالبات إذا أعجن بطالبة ففي كل لفظة من لفتاتهن تشير إلى وضعية الطفل الغريب الذي يؤنسه مداعبة ما يرضيه ليؤذي غيره .. فلو قيل ، وهذا أبسط مثل :

« إن المجانين أناس يسيرون على رؤوسهم بدل أقدامهم »
وسرعان ما هرعن زرافات ووجداناً إلى دار الشفاء تجر الواحدة يدها بالأخرى ليتأكدن من صحة القول ، وهذا ما جعلني أحترس مخالطتهن فاتهمني بالغرور والكبرياء .. فعذرت الأطفال ومالي سوى العذر والسماح .

فساد بيننا الصمت وقت غير قصير حتى استأنفت الحديث :

— وما أن رجعت إلى واجبي لأرى ما حلّ بوداد
وصاحبها فإذا الثاني سطر في سجل الفناء .. فحزنت على
مرآه ورثيت لحاله . ووداد المسكينة تقول له : انتظرنى
يا مخلصى فسألتحق قريباً بك . وبعد أيام طرق سمعى بأنها
انتحرت بأن وضعت يدها على زر الكهرباء ، لا أدري أكان
سهواً أم تعمداً .. وهذا نموذج ثانى لقلب ينفجر ..
وما أن انتهت فتاة الانسانية من حديثها حتى شكرتها ..
على فعلها الجميل .. تهزنى دمعة الحياة قبل ابتسامتها ..





[إلى البلبل الصداح الذى يغنى لحن القلوب الكبيرة !!]

لا النسيم البليل أنعشنى ، ولا الأمل بالشفاء أبهجنى ،
ولا جمال الطبيعة أشجاني ، ولا ماء دجلة العذب أروانى ،
ولا مرأى البلاد فى كبد السماء أسكرنى ، ولا أنس الرفاق
لذنى .. ولكن .. أنغمامك يا عندليبي أثلجت صدرى
وشنفت سمعى .. وهزت أوتار قلبي من الجمود إلى الحركة ..
ومن الرقود إلى اليقظة .. أتدرى لماذا .. ؟ لأنك سجين .. !!
فأنت يا عندليبي سجين .. تشكو عذاب السجن وحرمان
الحرية .. وترنو إلى عالمك الفسيح بعينيك الحائرةتين اللتين
تنطق بالألغاز .. لتتحرى دقائق الأمور .. وأنا .. مثلك
أعانى سجن الحياة .. ومرارة العيش .. وأتجرع كؤوس
الآلم حتى الثمالة .. فكأنك بتغريدك ماسكا كؤوس العذاب
تسقينها واحداً بلى الآخر .. لا قيمة للحياة .. غرد .. غرد
ما شئت لا كما شئت أنا .. وابعث من صوتك الحنون ..
سراً وإن كان غامضاً .. فهو قيمة الحياة ...

غرد .. غرد .. يا عندليب الشرق .. وابعث لى بأنغمامك

الشجيرة الرائعة العجيبة فعساها تروى جوانحى وجوانحك ..
وتروى شوقى وشوقك .. وتخفف لواجعى ولواعجك ..
الدفينة وخامرتنى الصور .. فإذا عندليبى ينتفض انتفاضة
الملل .. فلقد سئم السجن .. فيحاول الهروب من قفصه
الذهبي .. فيكسر بجناحيه الصغيرتين باب القفص لأدري ..
أيحاول الهرب من سجنه والافلات من قيوده ليفتش عن
عالم غير هذا العالم .. وجوآ غير هذا الجو .. ؟ أم يعزف بها
على قضبان القفص إجابة لتغريده ؟ ؟ .

غرد .. غرد .. واطربنى بتغريدك .. فأنا فى حاجة إليه
ولعنة الله علىّ إن كنت سبب سجنك .. وتعاستك .. على
مهلك .. على رسلك .. فسأطلق سراحك .. أما إذا أعتقتك
يد رحيمة وحاولت أن تنشد أنغام الحرية فتذكرنى وتذكر
أننى أخاك .. أهفو للقياك .. وأصبو لمساعدتك فى تحقيق
أحلامك .. وأمانيك العذاب .. ولا تنس فتاة إنسانية ..
أطلقت سراحك .

فاذهب فى حراسة الرحمن .. ولا تنسانى .

ترى من هذا العندليب ؟ ...

الجارية الحسناء

[إلى التي لا تباع ولا تشتري ...]

لتحى الحسناء .. فلها الحياة .. أمس وغد ...
فبالحياة تحيا .. وبالحياة تموت .. طالما مناهها الله بالاعلا
وتعالى الهتاف عالياً مدوياً .. فدهشت واستغربت .. الله ..
الله ماذا أسمع .. هتاف بحياة عادة حسناء .. فهرع الأغنياء
والفقراء .. لمشاهدة هذه الدعوة التي ستأتى إليها الجارية ..
نخلت نفسى فى عهد الخليفة هارون الرشيد .. وما قبله وبعده
فى بيع وشراء الجوارى .. ومن الجدير بالذكر هو أن الحفلة
أقيمت لمنفعة الجنس البشرى .. ياله من يوم نحتت ذكراه
على شغاف قلبى .. فقدت نفسى وأنا أنحامل أعصابى المضطربة
من أثر ما قرأت .. فى الفصول والغايات .. فقادتني الأشباح
لمساهمة هؤلاء الناس فما بالى وللعزلة .. ؟ أليست بشراً .. ؟
فكنت ترى الناس زرافات ووحداً لم يمهلوا أنفسهم بتكلمة
وجبة الإفطار التى اعتادوها يومياً .. فإذا بنفوسنا فى إحدى
الساحات العالمية الكبرى التى باتت تهدد السكبان البشرى
من أقصاه إلى أدناه .. بالفناء .. من أين تجمعوا هؤلاء الناس



الآف .. ملايين .. وهنا تقدمت الجارية الحسنة .. تجر
أذيالها تكبراً وتجبراً .. أين الشعراء .. والأدباء .. هذه
الأعطاف المنشية ، يا لبتوفن فهذى عيناي تفتش عنه ليوقع
لحن الحياة التائه ، فاقتربت الجارية محمولة على جوادها الأصيل
وها هي تنزل من فوقه ، ممسكة اللجام ، يا حدى يديها ، خيت
الجموع الغفيرة بابتسامة ، ساحرة بجملها ، ساحرة بجلالها ،
ساحرة برقها وعواطفها ، ولكنها ابتسامة قاسية ، تجمع
منتهى الرقة والقسوة ، تحول جسيم الحياة نعيماً ونعيمها جحيم .
فأومات للجموع المحتشدة بالسكوت حتى نبضات القلب ،

برفع يدها ، فدفنها إلى صدرها ، وأخرجت ورقة ، ونادت بصوتها الملائكى :

« أين المسؤولون عن قيادة هذا العالم . ؟ »

هيا اصرفوا هذا (الشيك) . فأخذه من يدها ، وما أن وقعت عيونهم الشاخصة على محتوياته ، حتى بشروا بالإفلاس . فأعادت تبسم ساخرة : « أين ، أين الذين باتوا يهددون العالم المسكين بقوة المالية . ؟ أين الذين عزتهم مكانتهم العالمية ؟ . ألا يوجد أحداً يحولنى على بنك أدبى . ؟ » . فالكل سكوت ، إلا بعض الهمسات الطفيفة تتجاوب مع الفضاء ، فهزت الجارية الحسناء رأسها ، ساخرة منهم ، قاطبة حاجبيها ، فشار المنافقون ، وتحاذلوا أمام هذه الفتاة ، ولم يلبثوا أن صاحوا : « يا للهازنة ، أقتلوها ، جردوها من العظمة ، مزقوا ثيابها ، إلغوها ، لقد استخفت بعقولنا . » . وما أن سمعت الحسناء كلمة اقتلوها ، حتى امتطت فرسها الأصيل وسارت فى الفضاء ، تاركة هذه الورقة عزاءاً وحيداً للبشرية الساخطة عليها .

أنا الأخلاق ، جئتكم فى هيئة جارية ، لأمتحن نفوسكم وعقولكم . والآن ، وبعد أن لمست روحيتكم تجاهى قتلا لا بركة .. فواخيبتكم ويا لجميعكم .

فانتبهت مذعورة خائفة ، وإذا بشموس الضحى تلفح
 وجهي ، وإذا خطر الحرب بات يهدد جو الأدباء والشعراء
 فتقطع نياط قلبي وأنا أقول :
 « يا ويلتنا ، ويا خيبتنا ، أما كفتنا الحروب هلعاً
 واضطراب ؟ »



القدر ... !

قالت بعد أن رفعت سماعة التليفون إلى أذنها :

يا نفس إذا مات الحبيب ففي البقاء لا تطمعي
فاستعذبت صوتها الملائكي ورمت لو تنفق حياتها
كصاحبة العصمة لما في حنجرتها من رخامة ؟ .

— كيف صحتك .. يا .. ؟

— بخير .

— أرجو أن تكون كذلك دواماً ..

— شكراً .. من المتكلمة .. رجاء .. واعطني اسم
مستعار ..

— عزيزتي .. مهما يكن تحوير في الأسماء . وتبديل في
الألقاب .. فلي أذن تسمع .. طيب أأمرى .
— أستغفر الله .

— أستمحك عذراً .. يا آنسة أو سيدة (عفواً)
فليس في مقدوري ووقتي قصير ، وكما تعلمين أنني المنسكبة
على أصدقائي السكتب النافعة بقية شيخوختي .. في مطالعة
ما يغذيني من الأرواح .. فلن أستمع لحديثك .. وأنت
حرسك الله مازحة ، فالمعذرة . وأغلقت التليفون في وجهها .

ولم تلبث فوراً حتى أعادت فتحه :

— تزعمين أنك فتاة إنسانية ؟

— لا إنسانية في عصر سربله الجهل وعمه الغباء .. وإن

كان عصر النور والسرعة !

فراحت تلمسني بأعذب الكلمات أن لا أغلق السماعه في وجهها . فاعتذرت لخشوتى معها مبدئياً ، وأخذت تسرد تربية فتاة ، سبقتها بكلمات يقشعر الجسم منها ، لا شيء يستوجب ، بل لغيره وحسد ، وتابعت حديثي : المفروض يا فتاة حواء أن أتطبع باللين والملاطفة ، تبعاً لتقاليدنا الموروثة عن أمنا حواء لا أبانا آدم ، وكفى شرفاً كما عرفونا الجنس الخشن .

ضحكت ، وقالت :

— سؤال بسيط !

— ما أبسط أمور الحياة .

— ما رأيك في فتاة البسها الزمن رداء أسود مفعم

بالحوادث .

— كان الله في عونك ، ماذا أقول أكثر من ذلك ..

يا .. أتجدين سهولة في الإفضاء !؟

— وآه لولا السهولة لما كانت الصعوبة ، ولولا الصعوبة
لما استوجبت السهولة .. آه من الدهر .
فأجبها :

— أقسم بالله ، مادمعت عيني على بشر صغير أو كبير ،
رفيعاً أو وضعفاً ، غنياً أو فقيراً ، إلا والآهة بين شفتيه
إما ينطق بها جهراً أو سراً ، وأخذت أضرب لها أمثالا تقنع
السامع سواء أكان تلميذاً في الحياة أو أستاذاً ، فعجبت
لحديثي وتأوهت ثانية ، وهي تقول :

— شاء الزمن أن يجمعني بشاب لطيف وجميل ، وتذوب
لأجل عينيه الهياكل والتماثيل ؟

— رائع ، جميل جداً وصفك .

— دعيني أكمل ..

— لك ما تشائين ..

— شامت الأيام أن تغدق عليّ حيناً لم تمهلني التمتع في
عطفها سوى أيام قلائل ، وسرعان ما قبضت كفها الشحيح
وعصرته ، وجرياً على عادته الصباحية ، خرج متنزهاً للصيد ،
ولم يلبث أن عاد بعد ساعتين على ظهر جواده الأمين
مترنحاً مخضباً ، بدمه البريء ، على أثر هدف تائه صوبته إليه

بمقدية القدر ، فبقى أيام قلائل حتى وافاه الأجل ، وعاجلته
المنية ، فاستشهد ، تلك يا أختي مصيبتى !

— هونى هونى ، فالحياة ، صدينى ، ما هى إلا ألم يتبعه
ألم وحسرة تلها حسرة ، ومامن دار ، إلا وحوى على الأقل
مصيبة . أأمرينى بخدمة فلعل أحاول عنك الترفيه .
— لا تحرمينى صلتك التليفونية .

— لك ما تريدين !

وأعطتنى عنوانها الكامل ، وبت على صلة ، بها ، وكنت
أعاملها معاملة أخت حنون قسى عليها الدهر ، وكثيراً ما قسى
على بعض الناس !!
فأردفت :

— ولا تنسى ، صديقى !

— صديقك ؟ (بعجب واستغراب) أى صديق هذا
الذى تدعينه ؟ .

(ورحت مندفة بخيالها الشرقى) :

— هو صديق مخلص ، وفى ، سيصلنى بطريقة سلمية إلى

مصالحة زوجى !

— ما اسمه .. رجاء (قصد المداعبة) .

— آه ، اسمه ، كأس ، وفعله ندمان .

— أتقصدين المشروب ؟ ..

— نعم ! ..

— لا ، لا ، استغفرى ربك ، وتعوذى الشيطان ،

فقلوب الرجال لا تتحمل المشروب ، فكيف بقلب المرأة ! ..

وأظنها احتست جرعة .

— إنه أقوى من الصخر .

— لا ، لا . إنك تغالين فى قوته ما أظنه إلا أرق

من النسيم .

— أدعوك السعادة ، وتصبى على خير .

ولم أزل على اتصالها التليفونى التى عودتنى سماعه ، طوراً

شاكية وأخرى شاربة نادرة ، حتى ضعف جسمها وانتابها

الهزال ، فمرت أيام وتبعثها أشهر ، وأنا أسعفها بجديتى ، فكان

دواءها الوحيد ، وسلوتها الباقية .

وفى يوم ما كان كأس الندامة قد فعل فعله واستوفى

خياله بعد حقه ، شعرت بضيق نفسانى شديد ، فأداروا أهلها

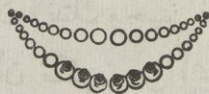
لها سماع التليفون كما رغبت وظنوا المنادى حبيب مجهول

اعتادت مخابرته دواماً ، وسرعان ما جاءهم صوتى ، فبرروا

موقفها ، وهى مترنحة من المشروب النفسانى .

وهكذا فاضت روحها ، ويدها على سماعة التليفون
مطبقة تتمم :

يانفس إذا مات الحبيب ففي البقاء لا تطمعي
ليت شعري ! .. متى تنتهي بندقية القدر من طلقاتها على
بني آدم وحواء ؟



من مآسى البشرية !!

والله لا أدري أياً من القلوب يستديم عليها البقاء ؟ .
ألكونها بيضاء نقية طاهرة حتى (ليخيل إليك أنك
لو وزعت ما تحويها من جميل وعطف على الناس لما بقيت في
الدنيا أى عداوة أو خصام ؟ .

أم لكونها سوداء دنسة تسربت بثوب يحاكي الليل
العاج بالأتربة والرياح ؟ .

أو لكونها ، بين بين من سواد الليل وبياض النهار ؟ .
أخشى أن أحدثك وأنت من أصحاب القلوب الأولى ،
فأخاف عليك ! لسلامة نيتك وحسن فعلك ورفعة خلقك .
وأخشى أيضاً أن تكون من أصحاب القلوب الثانية
فتحمل كيساً من الفيض علىّ لتجاوزى حقلك باعترافى !
وأخشى كذلك ، أن تكون بينَ بينٍ من القلوب البيضاء
والسوداء ، فتتحسس بسم نفسانى يسرى بين مضامين
فؤادك ، كما يسرى سم الأفعى فى الجسد ، لأنك قت بألف
حسنة وسيئة واحدة ، فسيئتك وألف حسنتك لا شيء .
ولئن أردت الإيضاح أيها القارىء فانصت لهذه القصة .

خطرات نفسى سرت فأعجبني عنوان (قلب ينفجر)
على أثر قصيدة كتبها شاعرة عراقية ، وكانت بعنوان (قبر
ينفجر) ، فللت أبيات القصيدة فلقد حملتني ضيق فوق ضيق
وما أن انتهيت من قصة (قلب ينفجر) والتي يتلفه القارىء
على عنوان كهذا ، حتى قادتني صورة منظر مؤلم ، لعندليب
يحتار ، وقد حلق في أعالي الجو ساعات طوال ، ولما أعياه
التعب هوى إلى أرض لم يسمع فيها سوى نقيق الضفادع
الساكنة في المياه الراكدة ونعيق البوم والغربان . فهل
يطرب لأنه زعيم الطرب والمطربين ، وهذا ما نعلبه عنه
بجلاء ليس ينكر ؟ .

أم يتخذ ما تصوره من ضعف وامتهان ، قوة نفسية
لأنين يبعث به معجزات الألحان ، ليسلو ويغلو في السلو ،
وهو ناه عن من أودعهم وأودعوه حسن الظن . ؟
أم يطير ، وما في وسعه الطيران . ؟

سؤال يستغرق التفكير بك وقتاً طويلاً ، ويحتمل أن
تعقب سيجارة إثر سيجارة ، فشعرت بك ، فهلا ، دعنى أرفه
مما أصابك ، ترى ماذا فعل هذا العندليب ؟ . ولما لم يجد بد ،
سوى السجن ، فاتخذ من نعيق الغربان ، آلة عزف تساعد
على تصرف جوهريته الرخيمة من نقيق الضفادع بين آن

وآخر، كان باك على أشياء حيره مصيرها وهان ، فأنساه
ماضيه وحاضره ، وبين هذه التأملات والتصورات التي
تتقاذفه كال موج المهدار ، والتي تحدد بالكاتب لتشقيه
وما تشقيه إلا لتؤلمه ، فترفه عنه الأذى .

راح العندليب يبعث المعجزات من صوته السحري ،
ذاك السحر النفاذ المستخرج من الأعماق إلى الأعماق والذي
إذا جال بخاطر أى قلب زاهد منعوت بالجمود غداه أسيراً
وكسيراً فى الحال .

فأمسكت محور الحياة ، وبين دمعة تهزنى وابتسامة تطربنى
هممت أن أكتب خطرات موجزة لهذا العندليب ، وإذا
الخيال يدنو من الحقيقة ، والحقيقة كذلك تدنو من الخيال
وكلاهما يجرى أمام الثانى بطريقة عكسية ، ونجأة سقط أمامى
عندليب فاراً من أذية طفل ، فطرحت قلبى ، وأمسكته
لأدخله فى قفص الظنى ، وأنا أجهل أحضر له ؟ أم لسواه ؟
فسلو الصدف ؟ ، أو دعوا الصدف تتمتع بسؤالكم ، وسواء
كان له أو لغيره ، فأريد أن أحقق المثل البغدادى الشائع
(ما يصيبك إلا نصيبك) .

فأقفلت باب القفص ، وما أن وضعت له الماء والطعام ،
وإذا بطفل جاهل ، يدق الباب وهو يبكى :

— عمة ، عمة ، عندليبي . إنه والله عندليبي .

وبعد أن فتحت له الباب سألته :

— ما أمهرك أيها الطفل العزيز ، لدرجة أن أصبحت
البلابل والعصافير تحسها أذنك ، (وقد شاهدت بيده اليسرى
عصفور) .

فرد وقد امتعض وجهه أسفاً وخجلاً :

— رأيته يا عمة ، على شجرة عالية ، وما أن وقع عليه
بصرى حتى صوبته عفواً . فأجدت الهدف ، فسقط في محل
مجهول ، إذ لولا تعريده الذى سمعته بين الفينة والفينة والذى
كان سر استرشادى لمكانه ، فاقتربت نحو الصوت ، وإذا
بنفس العندليب .

— ما أقساك يا عزيزى الطفل ! .

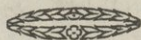
— لم أقصد من عملى هذا أن أؤذى العندليب ، بل
وددت أجرب سهمى .

— إذا كان عفواً ، وهفواً ، قصد اللعب ليس إلا .

— لا ، لا ، أبداً قصدت المفخرة بين خلانى الأطفال .

وما أن سمع العندليب هذه الكلمات — وإن لم تسكن قاسية
فى عرف الأطفال — حتى راح يدفع باب القفص بجناحيه

يريد تحطيم نفسه ويضرب رأسه ، في القفص ، ففتحت الباب
لأطلقه ، فوجدته يشرب من قدح الماء ، الذي أمضى به رويأ
خفته ظمآن ، فقلبته ، فوجدته سطرأ في سجل القناء ، فالتفت
إلى الطفل ، وبعد سكوت دام لحظتين ، أنبته على رداء فعلته
ورجوته أن يكف عن مثل هذه الأعمال ، فحياة المرء
إنسانيته ، ومتى ما خلت روح المرء منها فهو عدم لا خالد .
فندم الطفل على صنيعه ، واستغفر ربه ، وذرفت عيناه
دمعة كلها رثاء لهذا العنديل الذي كان سبب بواره وتلفه .
رحم الله المعرى ، وأنزله جنان الخلد ، حين يقول :
فما أذنب الدهر الذي أنت لائم
ولكن بنو حواء جاروا وأذنبوا



من سرّه خلق .. ساءته اخلاق

يا ليت شعري أى مدرسة بها

درس الحقوق فأدعى بحقوقى

قال الشاعر ونعم قوله ، فما تريدنى أن أقول : والله أقول
أعوذ بك يارب وأستغفرك .. من أناس ساءنى خلقهم ،
وغلظة حديثهم ، ومع احترامى لهم وإن لم يكونوا للاحترام
أهلاً . أتابع قولى لفرد ذله مقاله فى نظرى .. فأستميحه
عذراً ، حيث الذنب ذنبه ، فتهجم ولا موجب للتهجم ،
واضطرب وقسى حيث لا داعى للاضطراب والقسوة ،
ونزل بى حذراً كما يقول المثل البغدادى .. كما ينزل على عدوه
اللدود .. فلقد خسر .. وأى خسارة .. يا ترى ؟ .

خسر حسن ظنى به .. وحسن ظنه حقى بنفسه ..

وإليك الرد ...

قرأتك يا أخى للمرة الأولى والثانية فقط ، ولا أود أن
أقرأك بعدئذ مهما حاولت أن تبدى اعتذاراً وتأسفاً ، فالبون
فسيح بين فكريتى فيك فى المرتين ، فخلتلك أولاً قى له من مجد

الخلق ما يساعد على تربية جيل ناهض ، ليس إلا . فهمت
 أن أردك غير ردى هذا . إلا أن هناك مواضيع متناثرة
 ألهتني وحالت دوني .. والآن قد انبلج لعيني قلبك الفحوى
 لا سيما على (مجدك خلقتك) ، ولو كان ردك رداً أدبياً يليق
 بقدسية الأدب لحمدت الله على أنك من الذين يخدمون المجتمع
 العراقي بشتى الطرق .. فيا لسوء الحظ .. ويا لخيبة الآمال
 ويا لبئس الدهر .. فلقد تعجلت بردك الشانى ، ولو كانت
 عجلتك لهان الأمر .. ولكن عجلة أناس لثام دفعوك للعجلة
 فأوقعوك فى اللوم والعتاب .. وما أن وقعت ولا أهيب بك
 أن تقع للهرة الثالثة ، فعثرت لا بين سطورك التى تصنع بها
 قلبك زوراً ، بل بين خبايا نفسك على شىء رمزى أفهمه غير
 فهمك ، وألمسه غير لمسك .. وأقدره غير تقديرك . ولتعلم
 يا أيها الأخ ، وإن كنت غير لائق لأخوتى ، أو لازدياد
 علمك ، لا لكونك اهتمت بعاشقة المعرى الضير .. أو
 أرمز لشخص أكنه المعرى ، فليست عاشقة الاعمى وحده
 فحسب ، بل عاشقة ، يا أخى ، كل بصير وضير ، يضممر
 للمسكين مضماراً حسناً !!

ولو فرضنا جدلاً وتصورناك أو تصورت نفسك المعرى
 لتتال رضائى أو أغفر ذلتك ، فاعتقد بالله ، وبعد عثورى على

كتابك لا أقرأ ولا كلمة ، ثم أرجع فأقول لو تابعت تصوراتى
 وتخيلاتى ، وليست تصوراتى وتخيلاتى أنا فقط ، بل كل
 شخص يحترم المعرى الضير .. ويقدر خدمته الأدبية
 وعلمه الفلسفى وروحيته الأبية التى تأبى حتى مس الأذى
 للحيوانات .. أو تصورت نفسك المعرى فهجت نهجه
 وتابعت حياته فظلموك الناس حياً ونقموا عليك ونقصوا
 عيشك ، ولم يكتفوا بظلمك حياً ، بل ظلموك وأنت ميت ،
 فجاءت بعد ألف ونيف سنة على مماتك ، فتاة مثلى احترمتك
 وأنزلتك منها منزلة الأبوة لحرمانها من الأب .. فأقامت لك
 وزن الاحترام والجلال الذى يستحقه عليك وأدبك ..
 فهتفت بروحيتك ، وتدللت بأبياتك ، فعطفت عليك
 لزهديك .. ورثت لعذابك النفسانى ، وودت لو تقدم عينها
 هبة لك .. عليك تتذوق سر الحياة .. فكتبت خواطرها ..
 ورسمت تصورها ، ونحتت حبها على ورقة الفؤاد .. وما أن
 واصلتك هذه المنزلة أو وصلت بك . جاء أحد المتطفلون
 فاتهموها بالعشق والغرام .. والهوى والهيام .. ماذا يكن
 موقفك يا من جعلتك المعرى موقتماً .. فأرجو أن تحكم
 على هذا الشخص باعتبارك المعرى .. وإن كنت لا أهيب
 بك إعطائى هذا الدور .. ثم عقببت حديثك (تتمنين يا فتاة

الإنسانية لو عاد أبو العلاء لأذقته شيئاً من حلاوة فاكهتك
تلك الفاكهة التي فازت بلقب ملكة الجمال مرات) ومع
احترامى لصيق عقلك .. والذي أقصد (بفاكهة الحياة) غير
الفاكهة الجنسية التي حدث بك أو حدا بها قصر بصرك .
وجل ما أعنيه بفاكهة الحياة .. هي فاكهة الروح الأدبية
الباقية على الدهر ما بقي الدهر ، أو لو كان المعرى طيباً
وخدمته أو ناولته على الأقل قلباً وورقة أو لسجلت ما يحتاج
من تسجيل لتضاعف نبوغه ولخدمت بروحى الأدب خدمة
تتناقلها الأجيال بعد الأجيال ، وإني لازلت أقول أقدم نفسى
خادمة بهذه العبارة ، لكل من يهيب بى أن أساعده من هذه
الناحية الروحية الخالدة لا سيما الأعمى ، فهل أدركت يا أيها
الطفل المتطفل : ما معنى الفاكهة فى عرفى ؟ .

وسواء أدركتها أم تجاهلت إدراكها .. فذلك
لا يهمنى .. فاسمع :

إن من الناس من يقرأ ولا يكتب فيلتذ ليعيش .
ومن الناس من يلتذ بقراءة وكتابة فقرأ وما كتب
فيعيش أيضاً .

ومن الناس من يقرأ ويكتب ليخدم الأدب ، فيخلد
ليلتذ بخلوده ، لا بقراءته ولا بكتابته بل بتضحيته وروحيته .

وأنا أجهل من أى تكن ؟ .

فقلت (تعليقات مكشوفة إلى عشيقه رهين المحبسين) .
فرحى مرحى لهذا الموضوع الذى فى إمكانى أن أقودك
لساحة المحكمة ، وأى محكمة يا ترى ؟ .. هى محكمة الأخلاق
التي افتقرت منها .. فزفرت زفرة حارة موجعة وكأنك
المقصود بحديث (مجدك خلقك) ، أو كأنى المتقصدة فى
وقعك نغماً . ! فأنت من ؟ وأنا من ؟ وما شأنى منك ؟ أو
شأنك منى ؟ .. وها إنى أجيبك بصراحة ليرى القارىء
من مجده خلقه !!

ولا أريد أن تقرأه أنت ، فأنت جازم حق نفسك
وحق الغير ...

فأنا لا أعرفك .. ولا أريد أن أعرفك .. حتى ولا أحاول
معرفتك !! فلقد كفانى جس نبضك خلقاً فوجدت الفارق
عظيماً بين ما تصورت وأنت حسن النية .. وبين ما شاغب
زيد وعمرو ، ففسدت بأقوالهم عليك روحيتك ونيتك .
ولست أدرى يا أخى العزيز أيهما كان الأسبق بك ؟ أحسن
النية ، الذى أملتة فيك ؟ . وتوسمته ؟ أم حرمانك منها .. حيث
البشر قسيان : قسم يخلد بخلقه ليعيش ، وقسم يضرب الخلق

بحذاه وما ملك في حياته سوى شهرة عمية فتكبر وتجبر ..
فأنا أجهل من أى تسكن .. أتخلد لتعيش ؟ أم تعيش لتخلد ؟
ومهما يكن فأعذر لجهلى إياك .. (والعذر عند كرام النفوس
مقبول) ، ولم تسكتف بهذيانك الذى قاذك .. أو قدته ..
إلا أن قلت (بأنى كاتبة أستأجر الأدباء) وقد نوّهت
إحدى الجرائد العراقية حول العقاد بأنه الكاتب المسأجور
(فأحمد الله بأنى فقت تهمة العقاد البريء) . ولو فرضنا
جدلا أنى أستأجر الأدباء لا كتب ، فأى أديب تقوده
حرمة الأدب لبيع أدبه ، والذى تغنيه هو المسأجور ..
فلو عثرت عليه فأسألك بالله قل لى من ؟ وأين ؟ . وحبذا
لو استأجرتك .. لتحكم على نفسك بنفسك .. ولو رجعت
عهداً ليس بالطويل إلى الوراء لكانت المرحومة « مى »
أولى من أبدى الأدباء والشعراء مساعدتها .

إلى أن تقول حرسك الله .. (عرفتك يا فتاة الإنسانية
مذ عرفت التربة التى أنبتتك ، وأسباب الغاية التى كشفت
إعجابك برهين المحبين .. المظلوم كما تدعين ، فكلاهما مبتل
بدهره ، ولكن البلية هى أنك تريد أن تربطى بها نكبة
قومك) .

يا للسخف ويا للسخرية يا تلميذى المحترم . فأنت تلميذ

في كليتك ومدرستك ، وهذا ليس ينكر .. ومثلي لا تقبلك
تليدأ في الصف التمهيدى في كلية الأخلاق التى درست
فيها .. ولشد ما أمقت مع احترامى للسياسيين .. السياسة ..
لما فيها من نكبة للبشرية جمعاء .. فتودى بأبناء آدم
المساكين إلى الفناء اللانهائى ، وكفانا ما خرّبت ويلات
الحروب ، ودمرت أبناء آدم وحواء . وليت شعرى لو كان
العالم كله عالم أدب وشعر .

وهذا المرحوم سعد زغلول يقول للمرحوم أمير الشعراء :

الفن باقى والسياسة زائلة !!

دعنى أسألك .. واهدا لا تضطرب ، لو مررت بشارع
عام ، وشاء لأحد المتطفلين أن يصفعك بضربة على وجهك ،
لتوهمه بعدو فسبك وشتمك ، ماذا يكن موقفك تجاه هذا
الشخص المتطفل ، وإن غرتك لحيته وشارباه ؟ أتهدأ أم
تضطرب ؟ أم تسحب مسدسك فيما لو كنت مسلح .. ؟
أتطعنه كما تطعنك ؟ .. أتضربه كما ضربك ؟ ... ولو وجهت
لى نفس السؤال بصراحة عنوانها .. مجدى خلقى .. وخلقى
دليل ! لمررت به مر الكرام .. وصاخته ، فلعله يزيدنى ألماً
لأطرب .. فالألم أساس اللذة والطرب .. والآن ، وبعد أن
حكم القارىء على خلقنا ومقدار فهمنا بأمور الحياة .. فليقل :

أَيْنَا بِأُمُور الْحَيَاةِ تَلْمِيزُهَا؟ وَأَيْنَا هُوَ الْأَسْتَاذُ؟ مَعَ الْعِلْمِ ..
بَأَنْ رَدِّكَ .. لَمْ يَكُنْ رَدًّا أَدْبِيًّا بِالْمَعْنَى .. فَعِلَامُ أَلُومِكَ وَلَيْسَ
الذَّنْبُ ذَنْبُكَ أَوْ ذَنْبِي ، بَلْ ذَنْبُ الْحِظِّ التَّعْيِيسِ .. الَّذِي عَزَّ
الْجُهْلَاءُ .. وَذَلَّ الْأَدَبَاءُ ...

فَاتَّغْنِي بِقَوْلِ الشَّاعِرِ ... أَحْمَدَ بَهَاءِ الدِّينِ ...

عَزِيزٌ عَلَى الْحَرِّ يَا أَدْمَعَ يَسِيلُ عَصِيكَ وَالطَّبِيعَ
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ صَبْرِهِ حَرْقَةٌ وَلِلصَّبْرِ فِي بَاسِهِ مَصْرَعٌ
يَجَالِدُ دَهْرًا عَظِيمَ الْأَذَى وَمَا عَادَ فِي قَوْسِهِ مَنَزَعٌ
يَعِيشُ بَلِيلَ طَوِيلِ الْمَدَى كَأَنْ نَهَارَهُ لَا يَطْلُعُ
وَأَنْى كَالْتَبَرِ فِي مَنْجَمٍ عَلَيْهِ التَّرَابُ فَمَا يَسْطَعُ
يَدَاسُ فَمَكِّ جَاهِلٍ فَوْقَهُ يَدَبُ ، وَكَمْ أَحْمَقُ يَرْتَعُ

يَا لَزَمَنِ لَمْ يَعُدْ لِلْأَدِيبِ قِيَمَتُهُ .. وَلَا لِلسَّكَاتِبِ مَكَانَتُهُ ..
وَلَا لِلسِّيَاسِيِّ قَدْسِيَّتُهُ .. وَلَا لِلْفَنَّانِ حَرَمَتُهُ .. وَيَا لَزَمَنِ إِنْ عَثَرَ
الْأَعْمَى مَرَّةً وَاحِدَةً قَالُوا لَهُ : (وَعَمَى عَوْضُ الرَّحْمَانِ) ..
مَاذَا .. مَاذَا أَقُولُ لَزَمَنِ اسْتَبَدَّ بِهِ الْجَهْلُ وَاسْتَحْكَمَ الْغِبَاءُ ؟
وَمَاذَا تَرِيدُنِي أَنْ أَقُولَ فِي أَنْاسٍ يَنْدَمُونَ بَعْدَ فَوَاتِ
الْأَوَانِ .. فَلَيْسَ الْعَقْلُ هُوَ الْاعْتِرَافُ بَعْدَ (عَضَّةِ النَّدَمِ) ..
بَأَنْ فِي التَّسْأَنِ السَّلَامَةُ وَفِي الْعِجْلَةِ النَّسَامَةُ .. لَا ..

(لا يا أفندم) ، بل والعقل وسلطانة هو في أناس يفكرون
حين القول والكتابة والميل .. والآن ما بقي لك .. سوى
أن تجردني من الثياب وتترك حرمة العرض لله .. وبيمينك
سوط .. وتدعى يا أخى بأن مجدك خلقتك وا أسفأ لمن
يتصور الأخلاق ومجدها في تعدد الشهادات ...

ووا أسفأ لمن يتصور الأخلاق ومجدها يتعدى من حمل
الشهادات إلى القصور والأموال .

ووا أسفأ لمن لا يكتفى بما ذكرت ، بل يتعدها منغمساً
إلى الجاه والسلطان .. فأنا لست من هؤلاء .. ولا أرجو أن
أكون من أولئك . ؛ فيا أخى لا تندم حين لا يغنيك الندم ..
ولا تأسف ، فليس أسفك هو خلاصك .. ولا تقودك ذبول
الآلم والحزن ، فتتحسر وتزفر ، وتيأس وتقنط ، فلن يعد في
طاقتي أن ألدغك كما لدغتنى ، فأرجو أن أرفه بحديثي عنك
همك وعناءك .. وحزنك وألمك .. فالحياة لا تستحق الإساءة
والحقد والسكيد .. تافهة بكل ما أوتيت معجزات التفاهة من
حول وقوى .. ولا تنس فبالرغم من تفاهتها وكما قيل (لسانك
حصانك إن صنته صانك وإن هنته هانك ..) فكن وديعاً
بقلبك كل الوداعة .. سمحاً كل السماح ، ثم قارن بين ما أنت
فيه طبعاً وخلقاً .. وبين ما أنت فيه تكلفاً بالطبع .. فستجد

وأنا واثقة من وجودك .. كل الوثوق .. لا هم ..
ولا حزن .. ولا ألم .. ولا حسرة .. ولا حتى الاعتراف
(بأن في التآني السلامة ، وفي العجلة الندامة) .

أتدري لماذا ؟ ؟

لأنك سبقتهم بقلبك وفعله ، ووجدانك ومقداره ،
وعقلك وخبرته ، ونضوجك وتجربته ، ومزاجك وكميته ،
وعدلك ومدى استقامته ، ومتى ما واصل ضميرك هذه البغية
التي أشعرتك باللذة ، أو واصلته فسيقر استقرارك ، ويستأثر
استثثارك .. بأنك فتى مرتاع في حياتك وغفوتك الأبدية ،
وثق بي ، ولا تنحدر بك الأقوال يميناً وشمالاً ، فتمضك بعد
الخيبة ، وتعضك بعد اليأس ، فتعاند نفسك بالصواب شمالاً
حيث الشمال جنوب ، وتسير جنوباً حيث وجب سيرك نحو
الشمال . فتسأل نفسك : يا ويحي ما ضرتني لو اتجهت حب
وجداني وخلقى . آه كيف أغفر زلتى .. ؟ وبين (عضة الندم)
التي تتقاذفك لا ترى سوى وحشة تهزك .. وآهة تمضك ،
وخيبة تقضى عليك ، فنشقي وتعذب ، ويستمر شقاءك
وتعذيبك ، لأنك جاوزت حق المعرى .. وحقى .

والآن وبعد أن ناقشتك (بهدياني الهستيرى المتفكك كما
قلت وعزمتك على محاربتى) ، أقول إن من يكمن في ثيابي ، أو

أكن في ثيابه ، هو إله كبير يخشع لقوته الأغنياء والفقراء ،
والعبيد والأحرار .. والأعزاء والأذلاء .. لا ملك يضاهيه
ولا هيئة تستطيع الاستخفاف بحكمته وعدالته .. تمسكت به
لضعفى ولقوتى .. وتمسك بى هو الآخر .. فان استخففت به
فليتول أمرى وجزاك .. فلقد غفرت لك زلتك الأدبية ،
ولا تنس ، فلا قيمة للأديب فى محيط كما يقول أحد الأخوان
(عمه الجهل وسر به النفاق) ، وتقبل نهاية الحديث ..
بأبيات المعرى رحمه الله :

يا بلاداً مشى عليها أولو افتقار وأغنياء
كم وعظ الواعظون منا وقام فى الأرض أنبياء
فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل دأوك العياء
والآن وبعد أن أطلعتك على بعض أبيات أعظم فيلسوف
يحق للشرق أن يقيم له تمثال من دم ولحم .. لا من حجر
وصخر . راجع (الفصول والغايات) لتؤمن بأن مجد المعرى
خلقه من طيات سطورهِ ، وسواء آمنت أم لم تؤمن ، لعنته أم
أنزلته غيثاً من رحمتك . فالمظلوم مظلوم سواء أكان حياً أم
ميتاً .. فلا تنس قوله :

ولا يبالى الميت (فى قبره) بذمة شيع أم حمده
والواحد المفرد فى حتفه كالحاشد المسكثر من حشده

قلبي وعقلي

قلبي وعقلي .. أيهما أكثر سيطرة على النفس وأقدر على قيادتها وتوجيهها في الحياة ؟ .

هذا سؤال طالما وجهته إلى نفسي في لحظات التفكير والخيال . وكان عقلي يميني دائماً بغير ما يميني قلبي ، لذلك وددت أن أخص بهذه الكلمة صديقتي .. المتهمة بذات القلب المقفل ، لعلها تجد بعض التسلية في هذا الحديث .

جلست إلى مكتبي أدون قصة خيالية أقرب ما تكون إلى الواقع . وما كدت أختتم القصة .. حتى انتصبت أمامي تلك الحسناء التي كثيراً ما تجادلني في كل حركة من حركاتي ، وتود لو كانت مكاني في كل أمر من الأمور ... فشعرت أن هناك قلباً ينبض بالحياة ، ونفساً تتحرى أسرار الحياة ، ودقائق الأمور ... ولكن علامات الاستفهام لم تجد لي حلاً مقبولاً لهذه الفتاة ! .

فقد جلست أمامي تبادلني الإشارات بدلال .. وكان الجو صافياً ، فلم أستغرب زيارتها .. وقد سبقني إلى الكلام (حفظها الله) زاعمة أنها معجبة بحديثي وتود لو أمضت طيلة

حياتها بجوارى !!... فأجبتها شاكرة ، واستطردت تقول ،
وهي تبعث دخان سيجارتها بتنهد وأسلوب تمثيلي :
— سؤال بسيط يا آنسة .

— تفضلي .

— أيهما دليلك في الحياة : عقلك أم قلبك ؟ .

— والله لم أستغرب سؤالك يا صديقتي المعجبة .. فطالما

جمعتني وإياك مرحلة الدراسة بعض السنوات .. فاسمعي :

لا أزال أذكر خصومة عنيفة نشبت بين عقلي وقلبي
ولكن الغلبة كانت من نصيب العقل .. لأنه الأقوى .. وهل

يكون الحق يا أختاه لغير الأقوياء ؟ لقد قال العقل للقلب :

العقل — دعني أكون صديقك ومرشدك أيها القلب .

القلب — أما يكفيك سيطرة على أيها العقل ! .

العقل — أتحسب إرشادي لك جريمة أعاقب عليها ؟ أم

جناية لا تغتفر ؟ أقول مع احترامي لك : إنك ساذج جاهل .

القلب — يا ترى ماذا يكون لو تغلبت علىّ وأطلقتك

عنان التصرف كما تشاء .

العقل — لا يكون شيء أبداً .

القلب — لقد منحنا عمراً واحداً ، فلا يصح أن نقضيه

في العذاب والخيبة والحرمان .

العقل — العبرة يا قلباه في الحرمان .. خير من الاحتقار
في الترف .

القلب — أقصد أن الحياة لا تسكون شيئاً بغير التمتع
واللذات .

العقل — ما أقصر نظرك .. وما أبعد نظري .
فاغرو رقت عين القلب بالدموع .. وتاهت نظراته
الحيرى شمالاً وجنوباً وقال في ذلة وانكسار :
القلب — إلامَ تتحكم في شؤوني .. وحتامَ تبقى حياتي
رهن أوامرك ؟ .

العقل — هذا من مصلحتك يا عزيزي .. فلو لا تبصرى
وإرشادى لأصبحت تائهاً في بيداء الحياة .. ساجداً في ضباب
الأوهام والخيالات .. أنظر إلى الذين حكموا قلوبهم في الأمور
أنظر .. أين مكاتهم في المجتمع ؟ وأين مصيرهم في الحياة ؟ .
ماذا فادهم الحسب العالى والنسب الرفيع ؟ لا بل ماذا أجداهم
الذكاء المفرط والشخصية القوية ؟ ! .. ألسنت ترائى بعد هذه
الأمثال والبراهين جديرة بقيادتك ؟ . أم لا زلت في نظرك
عدواً لدوداً ؟ .

القلب — آه ! وآه من آه .. وأى عدو أعدى لى
منك ؟ .. كما قال المنصور لأبى مسلم الخراسانى .

العقل — كن هادئاً وديعاً يا صديق ولا يأخذك الغضب
فتفقد توازنك وتسوء عليك العاقبة في الدارين .
القلب — ماذا تعنى ؟ .

العقل — إنك تعلم ما أعنيه جيداً ! .
وهنا انتفضت زائرتي كمن يشعر بخفقان في قلبه ودوران
في رأسه وصراع حاد بين عقله وقلبه . فقلت :

— هدئي روعك يا أختاه .. واستبدلي سيجارتك الجافة
بأخرى مرطبة لعلها تريح أعصابك وتجعل فيك استعداداً
للتفاهم في أمر يتعلق بسعادتك .. سواء أكنت يا عزيزتي
متهمة بذات القلب المقفل أو المفتوح .

فاستحسننت حديثي ورجتني إكمال محاورة القلب والعقل
لما تضمنته من عبر لذيذة وحقائق غريبة ، فاستطردت أقول :
القلب — إنني عديم الذكاء متحجر الدماغ فاضرب لي مثلاً
لما تقول لعله أضمن لتصديقك .

العقل — الأمر بسيط جداً يا عزيزي القلب .. تصور
أن فتاة اتهمت بالقلب المقفل ، وتمادى اتهامها كلما زاد بها
إعجاب الجنسنيين ، فهل تظنها تغضب أم تسر ؟ .

فانتبهت زائرتي وأحدقت بفضي كأنها تريد شراء الكلمات
لتبيعها بسعر أعلى ، شأن التاجر القدير ، وأجابتنى على الفور :

— إنها تسر طبعاً ..

فقلت :

— رعاك الله ، إذن أنت من اللائى يقدرن العقل
لا القلب .. فما لك وللناس بعد ذلك ؟ .. ولم يزججك هرجهم
ومرجهم .. دعهم يا أخت يرقصون كما يشاؤون فلا بد أن
يجد التعب سبيله إلى نفوسهم وأنت سعيدة شاغلة أفكارهم ..
فانقلبت صديقتى على قفاها من الضحك وهى تقول :
— جميل رائع .. يعجبني أن أسجل حديثك بماء الذهب
فهل من مزيد ؟ ! ..

— دعينى أكمل حوار العقل والقلب كما ترغبين .

العقل — تصوّر أن فتاة أحبت فتى وهاما ببعضهما كل
الهيام وقد ضاع الأمل وانقطع الرجاء عند ما حانت الخطوبة
فهل ستبقى على حبه وقد قال الشاعر ونعم ما قال :
وأقسمت لا تجرى دموعى على امرئ

إذا كان لا تجرى علىّ دموعه

القلب — إلى متى أظل يارب دون تقدم فى الحياة ، وقد
قال الشاعر :

ما أقصر العمر حتى نضيعه فى النضال .. الخ .

العقل — مهلا ، مهلا .. إنك على حق يا عزيزى ..

ولسكن .. يجب أن لا تتسرع .. لأن الاستفهام فى حالتى
الغضب والسرور مبعث النتائج الحسنة .

القلب — لا أفهم ما تقوله ، أريد مثلاً .

العقل — يتمم : (الصبر طيب) تصور أنك موضع
الحسد والغيرة من الناس لأنك تفوقهم فى كثير من الخصائص
والميزات . ماذا يكون موقفك تجاه الاتهامات والمطاعن ؟
القلب — أطعنهم كما يطعنونى .

العقل — ألم أقل لك أن وقت ترفيعك لم يحن بعد ؟
القلب — أنت مجنون .

العقل — قالوا جنت بمن تهوى فقلت لهم :
ما لذة العيش إلا للجانين .

القلب — أسكت وإلا !! .

العقل — وإلا ماذا ؟ .

القلب — لم أفهم ماذا تقصد ؟ .

العقل — ألا تعلم أن الحق للقوة ؟ .

ولم أنتبه إلا وعقلى متغلب على قلبى .. فتغدىق يمينى
ضربتها بشدة على جبهته .

— جرى ذلك ؟ .

— (بتعجب) جرى ذلك وأنت حاملة نائمة !! .

— نعم .

ولنعد إليك أيتها المتهممة بالقلب المقفل : دعى الناس
وضوضاءهم .. ومتى وجد البئر اللائق لإروائك .. فتح قلبك
بابه على مصراعيه ، إذن أين القفل وأين الاتهام ؟ .
نخرجت وهى تتلفت معجبة بحديثي ، فابتسمت لها إيجاباً
على الالتفات . وهكذا ودعتنى وانصرفت .



أُمِّي ...

إلى أين تريدن أن تذهبي بي . أو أذهب بك ؟ إلى
مشوى الخلود والبقاء؟ .. أم إلى دار الهناء المشوب بالعناء ؟ .
لست أدري أى أرض اخترتها فأثرت المقام فيها وأنت
لا زلت حية خالدة بخلقك الرفيع ، وشمائك الطيبة ،
وإنسانيتك العالية ...

لست أدري أى أرض تلك ...

يا من أفديك بالروح ، وما لى سوى الروح .. نعم :
ما لى سوى روحى وباذل روحه

فى حب من يهواه ليس بمسرف
ويميناً لو ملكت أن استرد روحى بعد بذلها لك ألف
مرة لافتديتك بها ألفاً .. وما وفيت ، فقد عرفتك أما وأباً
حين افتقدت حنان الأب ، فما أشعرنى وجودك بالحرمان
منه . وما انتابنى جوع ، ولا تسرب إلى قلبى هم ، ولا فقراً
شكوت . فإن التفت رأيتك تحيطينى بالعناية والرعاية
والعطف فكأنى ما أعرف من دنياى إلاك .
أكلبك يا من وجدت فيك كأس ندمانى .. بلغة ينظمها

الشاعر بخرائده العصماء ، ويسطرها الكاتب ببرايعته الحية ،
ويعبثها الموسيقار بأنغامه الساحرة . فيهبو لكل ذلك قلبي ،
وتطرب نفسي ، وتدب الحياة إلى سطوري ، فألمس في كل
جانحة من جوانحي أمي ، وفي كل خفقة من خفقات قلبي
هذا الإسم الحبيب ، وفي كل نبضة من نبضات جسمي ،
بل في في وكياني وشعوري ، أمي ..

تعالى إلى جانبي يا أمي الحنون ودعيني أتمل بحنانك .

تعالى لأطلعك على هؤلاء الناس الذين غرتهم زخارف
المدنية ، فانقادوا لها انقياد النعام .

تعالى .. واتركي هؤلاء القوم لأطلعك على قوم لا أدرى
هل حان مجيئهم إلى مشواك ، أم لم يحن ؟

تعالى تتحدث ولا حرج عن ميلنا وهوانا ، بل عن ذلنا
وشقانا ، فالناس معذورون إذ يغبطون لعيشتنا الرغيدة ،
وأمانينا السعيدة ، وليالينا الملاح ، وإن حرمتنا الظروف
جناح الأبوة .

تعالى يا أماء واشربي معي كؤوس القناعة مترعة ، فإن
حياتنا ، وإن كانت من العز إلى الذل ، فاستبشري بها ، بل
استبشري بدموعها الهاملات ، وانعمي بالآبهودتها وسكينتها ،

وإن كنا لم نلعم بالهدوء والسكينة ، فدارنا موحشة خالية من
أناس يضحكون وضميرهم متقمطر باللؤم والحسد ! .
تعالى يا أماء ودعيني أسقيك قدح الشاي ، فأنت والله
حياتي ومن دونك لا حياة لي .

أواه .. ماهذه الدموع التي تنهمر من عينيك أتراها تشير
إلى ذكرى ما كنت أنعم فيه من الدلال ؟ أم إسرائي في حبك ؟
أنا يا أماء كل ماناغيته باسمك أخذتني هزة من الطرب
ونشوة من السرور ، فينشرح قلبي الكئيبي حتى يكاد يطير بي
إلى دنيا الغفران .. ففيها السعادة لا شك ، أما هنا فما أدرى
كيف يظن الناس يا أماء أنهم يجدون السعادة .. حين
يروحون وحين يغدون ، وما هم والله إلا واهمون ، فهم من
طلب السعادة كالملتمس من السراب ماء ، وما هم في ذلك كله
إلا بين خادع ومخدوع ، تغرهم المظاهر البراقة الزائلة ، وهي في
الواقع لم تكن إلا نفاية من النفايات .

وعلى هذه الشاكلة كان الناس من الأزل ، منهم من يرى
السعادة في مظاهر الكون وروعته .. وفيما تسبغه الطبيعة عليه
من سحر وفنون .. فيرى في هذا الكون كواكب زاهرة ،
وسحباً ماطرة ، وأمواج متلاطمة ، ويرى الجمال الفاتن الأخاذ ،
والوجوه الملاح في زرقة السماء ، وفي المروج الخضراء ..

وفي هدير الماء ، وفي هديل الحمام . وفي كل مظهر من مظاهر الطبيعة . . ومن الناس يا أماء من يرى في الصحة والشباب والفراغ وما علم :

إن الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة وهو إذ يؤمن بهذه السعادة يسترشد بقول المتنبي :

آلة العيش صحة وشباب فإذا وليا من المرء ولي

ومن الناس يا أماء من يرى السعادة في المال والبنين مستهدياً بالآية الكريمة ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ .

أما أنا يا أماء ، فأه ثم آه . . لست من هؤلاء جميعاً .

فلا أرى السعادة في وحشة الليل ، ولا في بهجة النهار ، ولا في

السكون والطبيعة ، ولا في الصحة والشباب والفراغ ، ولا في

المال والبنون . وإنما . . أنا من أولئك الذين يرون السعادة في

أحضان أمهاتهم فقد فتحت عيني فيك على أب يحميني فوجدت

منك أمأ وأبأ . وكذلك كان أخوتي وأخواتي ، وما وجدت

ثمة فارق بيني وبينهم ، فكلنا مشمولون بعطف الأبوة والأمومة

منك ، أذكر . . وماذا أذكر ؟ . . من ما ترك يا أماء ، فقد

بذلت من الجهد والمال في سبيل رعايتنا والله به عليم ، بل بذلت

من دمك وعصارة روحك ، ما أمدنا بالحياة . وكان خليقاً

بنا أن نعيش بك ، ولك ، وفي سبيلك . . سبيل السعادة .

ولست أدري يا أماء ما الذى أذكره من سعادتي فيك ؟
فإني لأخاها على طولها قصيرة ، ولى العذر ، فقد قال شاعرنا
الجواهري الكبير :

أجللتُ منظرَك البديع ومنظر
أجللته لم لا يكون بديعا ؟
ونعمت أسبوعاً بها سعيدة
سنة نعمت خلالها أسبوعاً
وذكراك يا أماء لا تبرح ماثلة أمام عيني ، تمدني بالقوة
على حين تبعث في قلبي الأسى ، وما أنا فيك إلا كما قال شاعرنا
الجواهري الكبير أيضاً :

إيه أجبأى الذين ترعرعوا
ما بين أوضاع الصبا وحجوله
إني وإن غلب السلو صباقتي
واعترضت عن نجم الهوى بأفوله
لتشوقني ذكراكم ويهزني
طرب إلى قال الشباب وقيله
حرّان مقتول الميول وعندكم
إطفاء غلته وبعث ميوله

وماذا تجدني الذكرى يا أماء وهي مفرحة ممضة لا تمنحني
من السعادة إلا بمقدار ما تبعث فيّ من الألم.. وكلما تبعثه
هذه الذكرى على أسلة قلبي في سبيلك يا أماء ما أعاني من ألمها ،
فإلى ذكراك أبعث ما يسيل على قلبي كما منح شاعرنا الجواهري
حسان لبنان : عيون شعره فقال :

وحسان لبنان منحت قصائدي

فسجنهن كدهن ذيولا

أهديتهن عيونهن نوافذا

كعيونهن إذا رمين قتيلا

فرجعت أدراجي أجر غنائما

من بنت بيروت أسي وغليلا

لعن القريض فأى مثر شاخ

سرعان ما استجدي الحسان ذليلا

ردت مطامحه البعاد دوانيا

وكثير ما منح الخيال قليلا

وبينما أنا في هذه المناجاة كالحالمة ودموعي منهمة ، إذ بأمي

تبتدرنى قائلة : ماذا تفعلين يا فتاتي ؟ وفيم سهومك ؟ وبماذا

تفكرين؟ . . فرفعت إليها عيني ودمعة الأمومة الصادقة
تترقق في مآقي :

أفكر في حبي إياك ، فهو المثل الأعلى للفضائل ومكارم
الأخلاق . ذلك لأنك يا أماء المرأة الصالحة تهذيب النفس ،
وصقل العقل . وكفى بذلك يا أماء شرفاً .



وداعاً ...

[مهداة الى الشاعر ايليا أبو ماضي]

ودعتك وما أردت الوداع ...

ودعتك بدموعي الهائلة وعيوني الحائرة وقلبي الوهان ..
وروحى الهائمة ...

ودعتك والشوق يهزنى إليك هزة الحبيب المفارق وأنا
إذا كتب فأنعشك أعود فأذكر عهدى معك وأتلهم للقياك .
ودعتك أنت يا قارىء .. نعم ودعتك وكلانا عزيز عليه
الوداع ، وما أدري والله ما الذى حملنى على وداعك ، أهو
ما ألقاه فى دنياى من عراقيل وأشواك ؟ يجهد أعداء
الإنسانية على بثها فى طريق أينما توجهت ؟ أم هذه الوحدة
الموحشة التى تغمر نفسى فأضيق بها وتضيق بى ، ولا أجد
منجى ألوذ به غير الانطواء على نفسى ، أروى فيها ما أحسه فى
روحي .. من أوار الظمأ فأتمثل بقول شاعرنا الجواهري :

ليت لى مع السوائم فى الأرض

شرود أرعى القتاد انتجاعا

لا ترى عيى الديار ولا

تسمع أذنى ما لا تطيق استماعا

ودعتك وبودی لو يطول الوداع لأنعم بهذا الشعور الذى
يضيفه هذا الموقف الحبيب إلى نفسى على أمله . فأنت أختى ..
وزميلي .. وما كانت هذه الأخوة وهذه الزمالة مبينتين
إلا على أسس وطيدة من سمو الأخلاق والتربية ، ولأزید :
ففى الدموع كل ما يجول فى نفسى من المعانى ، وهى يا قارىء
خير ترجمان لحالى .. وهل كانت ساعة الوداع إلا انقطاع
جزء من الفؤاد ، وقديماً قيل :

ولما قضى التوديع فینا قضاءه

رجعت ولكن لا تسل كيف مرجعى

فيا عینی العبرة عليهم تسکى

ويا كبدي الحراء عليهم تقطعى

وحین أقف للوداع أمد یدى مصافحة إياك ، على حين أن
یدینا لا تقویان على المصافحة ، وبودی لو أرفه عنك همك إن
كان بین طوايا نفسك هم ، وأزید سعادتك إن كانت لك
بقایا من سعادة !! ولئن تخلى الصبر عنك ساعة الوداع فقد
تخلى عنى قبل هذه الساعة .

ودعتك وكلی رجاء أن تحتفظ بذكرى وداعی ، ففيها
عتاب لك ولوم عليك ، وفيها رضاك وفيها سخطك ، ودعتك
وكم - آه - وددت لو تطول ساعة الوداع لأبشك ألى وشجنى

وتبثني ألمك وشجنك ، فالحياة لا تخلو يا صديق من آهات
القلوب !!

ودعتك حين لا ذنب لنا فيما يجره هذا التوديع
من ألم السكين ، ولا نستحق من الحياة هذه القسوة ، فما ذنبك
وما ذنبي ، ومطلب السكال هو المسؤول عما يرزح تحته الناس
من هموم الحياة .

ودعتك يا صديقي القارىء ، وأنت قريب منى كل القرب
وبعيد عنى كل البعد ، فلا تندم ولا تأس ولا ترثى فقد قيل :
إن من يلزمه الحظ في الصباح لا يعلم ما يحل به في المساء .
ودعتك بدمعة عصية التسكاب والجواب وبغم لا يقوى
على أن يبعث آهاته ، فدع لى آهاتى ، وإليك تحياتى وابتهاماتى .
ودعتك بروحى الشاردة شاكية من من هم أصل أذى
وبلواى !!

ودعتك وأطرقت برأسى تفكيراً حتى ضاقت على
سبل التفكير . . .

ودعتك وأنا ألوذ بك منك (فلقد حيرتنى اصطلاحات
الناس التى يدعونها آداباً اجتماعية) وأدمت قلبى قساوة البشر
للشعر . . والناس يا قارىء ، كما قيل ، معادن . . ومن المعادن
ما يعلوه الصدا ومنها من لا يجد الصدا إليه سبيلاً .

ودعتك يا من يشرذنى وداعه فى متاهات الحياة ، وكل
ما أوغل فيها قدماً أثر قدم ، اشتدت النار فى قلبى الواجف ..
نخذ يا نور عيني كأس الوداع ، واعطنى من كؤوس النسيان
ما ينسبى ساعة وداعك .. فلعلنى أنساك وأنسى إعجابك بى
وتقديرك إياى ! .

ما أقساك يا صديق القارىء وما أرحمك .. فهات يدك
لقد طال بى الشواء ...

ودعتك وبودى لو أفرغ مما سمعته من أصوات المساكين
إلى العندليب الصداح فى المهجر .. لأسمع منه لحن القلوب
الكسيرة ! ! ! !

ودعتك بهمسة حائرة نخذ منى نحيب الناي الباكي ، ودع
الصدى يوصل إلى سمعك هذا النحيب ...

ودعتك غارقة فى أحلامى أو كالغارقة ، ذاهلة عما حولى
أو كالذاهلة .. مستغرقة أعزف على فنون الاستغراق ، ناي
آلامى ، فإذا بى أتقل من لحن إلى لحن ، ومن ذهول إلى
ذهول .. ومن استغراق إلى استغراق ، أفكر وأمعن فى
التفكير .. فإذا بى وقد انهمرت على وجنتى الدموع ، وإذا
بهذه الدموع : دموعى ودموعك .. ولو كان لى ذنب لهان
الأمر واحتمل .. ولكن .. وكما يقول المعرى رحمه الله :

فما أذنب الدهر الذى أنت لاثم

ولسكن بنو حواء جاروا وأذنبوا

ودعتك وأنا أتصور نفسى أمامك وجهاً لوجه ، أحثك
على الكلام وأنت فى حيرة لاتدرى كيف تعزف لحنك تجاه
الضعيف ، فأدركت حين ذاك خلقك ولمسته ، فعزفت على
بيان الحياة التى طال بنا وبها المقام حتى مللناه ، وقاومت الحياة
حتى سئمتها ، والآن هات يدك لأصالحك فلقد طالت ساعة
الوداع واستطال بنا الوقوف . . .

وهنا ذهل القارئ فجالت فى عينيه دمة تشير إلى مدى
ما انحدر إليه الأدب فى الشرق . ونهضت حينذاك من مكثتى ،
ووقفت إجلالاً لهذه الدمة أ كيفكفها عنه ، وأخفف لوعته
وأهون عليه هزيمة الحق وأهتف بشعوره الحى ، وما أن
مددت يدي لأصالحه معجبة بسمو خلقه ، وكريم شمائله ، حتى
راحت يدي تمضى فى الكتابة ، وراح المداد يتساقط على
الورق حاملاً صدى ما ضاع من حق الأدباء فى الشرق ١ .

تحمل . . تحمل يا قارئ العزيز ، حتى لو صفعت على
وجهك ، ولتسكن وديعاً مثلى ، سليم النية ، حلو الشمائل ، لاتلق
بالأ إلى نقيق الضفادع ، وليسكن لك من الصبر ما تدفع به
حقداً الحاقدين ، وعدوان الموتورين ، دون أن تقابل حقداً

بحقد ، وعدوان بعدوان ، ولا تقس فالله لا يحب الذين
يقسون . والحياة بعد هذا في نظري تافهة ، وبالرغم من تفاهتها
ففسيج ثوبها مصنوع من آهاتنا .. وزخرف ألوانها
مستوحاة من لوعتنا ، وليونة ملمسها مأخوذة من حيرتنا .
ودعتك يا قارئ العزيز .. بعد أن تلقيت درساً منك
وتلقيت درساً مني ، وقد أذفت ساعة الوداع وليس في استطاعتي
المصافحة ، فيدي لا تقوى على احتماها ، ورجائي أن تتقبل
ما جال في هذه النفس الأبية ، فتحتفظ بكلمتي كذكرى فيها
الوئام .. وفيها المودة .. وفيها السلام .. ولعلني ألتقي معك
في هذه المقطوعة الرقيقة التي انبجست من عواطف سامية
للشاعر الوجداني الرقيق محمد يوسف مقلد ، وهو في رأي من
روائع الشعر الحديث ، رقة وحسن ديباجة ...

(القصيدة الأدبية)

دومي إليك توجهي وذهابي
وإلى جمالك رجعتي ومآبي
أترعت أبريقى وروحي ظامى
فملاّت من صهبائه أكوابي
يا زينة الدنيا البديعة إننى
صب لعمرك لست بالمتصّابي

إني إذا امتحن الهوى ألفتني
أفديك بالأصحاب والأحباب

طارت بألباب الرجال مذاهب
شقي من الأغراض والآراب
وتعددت صور الجمال فلم أكن
شغفاً بغير جمالك الخلاب

حابي بحبك عاشقوك وإنني
قسماً بحبك لم أكن لأحابي
عدوك من (سقط المتاع) وأنت من
لب الحياة لدى أولى الألباب
عميت نفوس عن جمالك واهتدت

فيك نفوس رغم كل ضباب
المترفون في النعيم قلوبهم
موتى، فكيف تقوم للأداب؟

عبدوا المنافع كاسبين ولو دروا
لأوك أكرم مكسب وطلاب
يا نفحة الروح العليا مرقى
ما بين أهل سما وأهل تراب

يعيش كل موام لموأم
 كتزواج الأنساب بالأنساب
 جربت عيشتي مع عداك مجاملا
 فوجدتني فيهم من الأعراب
 فبعدت عنهم واصطفيت لوحدي
 غاباً ، فكنت أنيسني في الغاب
 حسب (المليحة) أن تكون كما أرى
 سفرين .. سفر طبيعة وكتاب
 آوى إلى الظل الوريث فينحني
 من لطفه وأميد من إعجابي

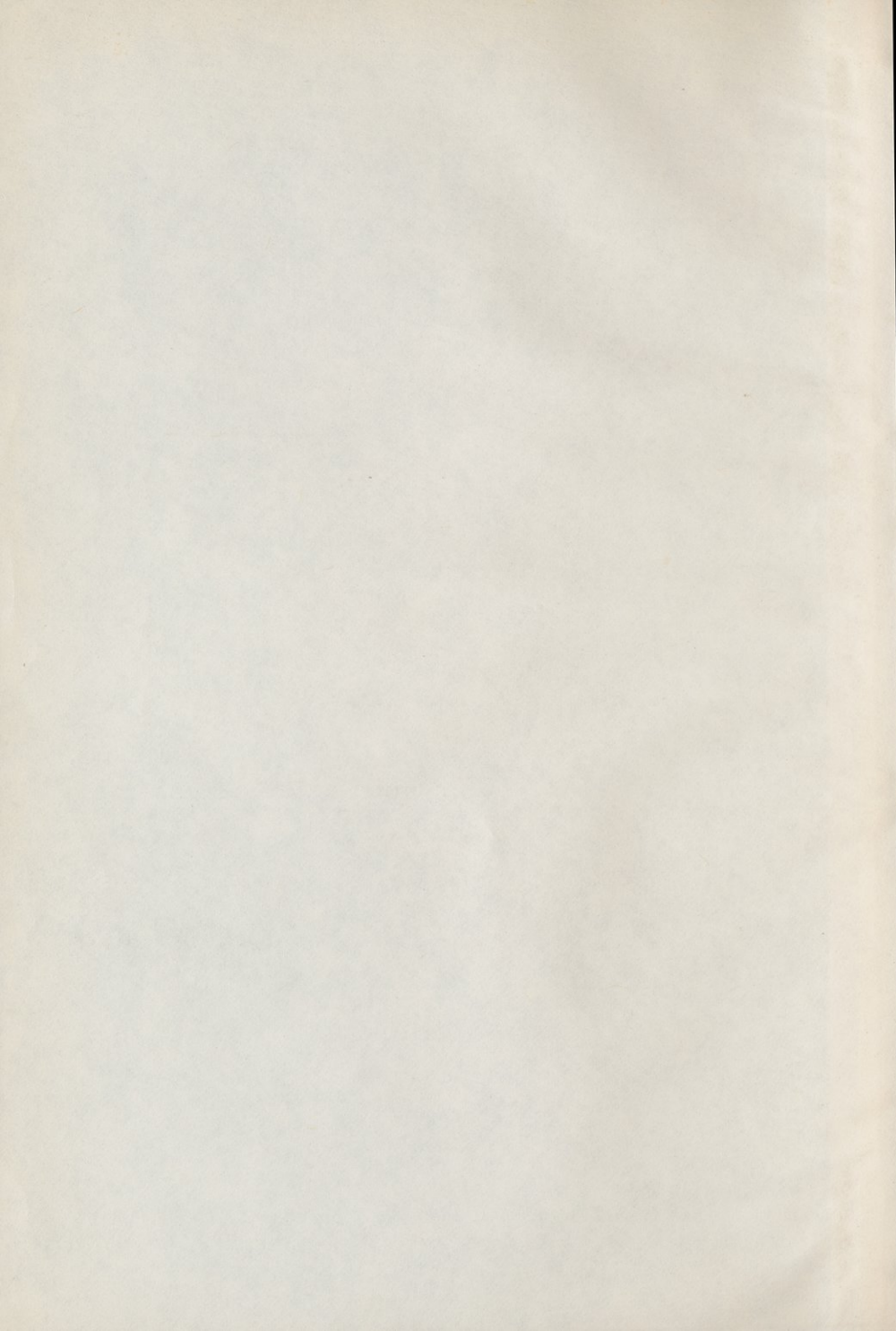


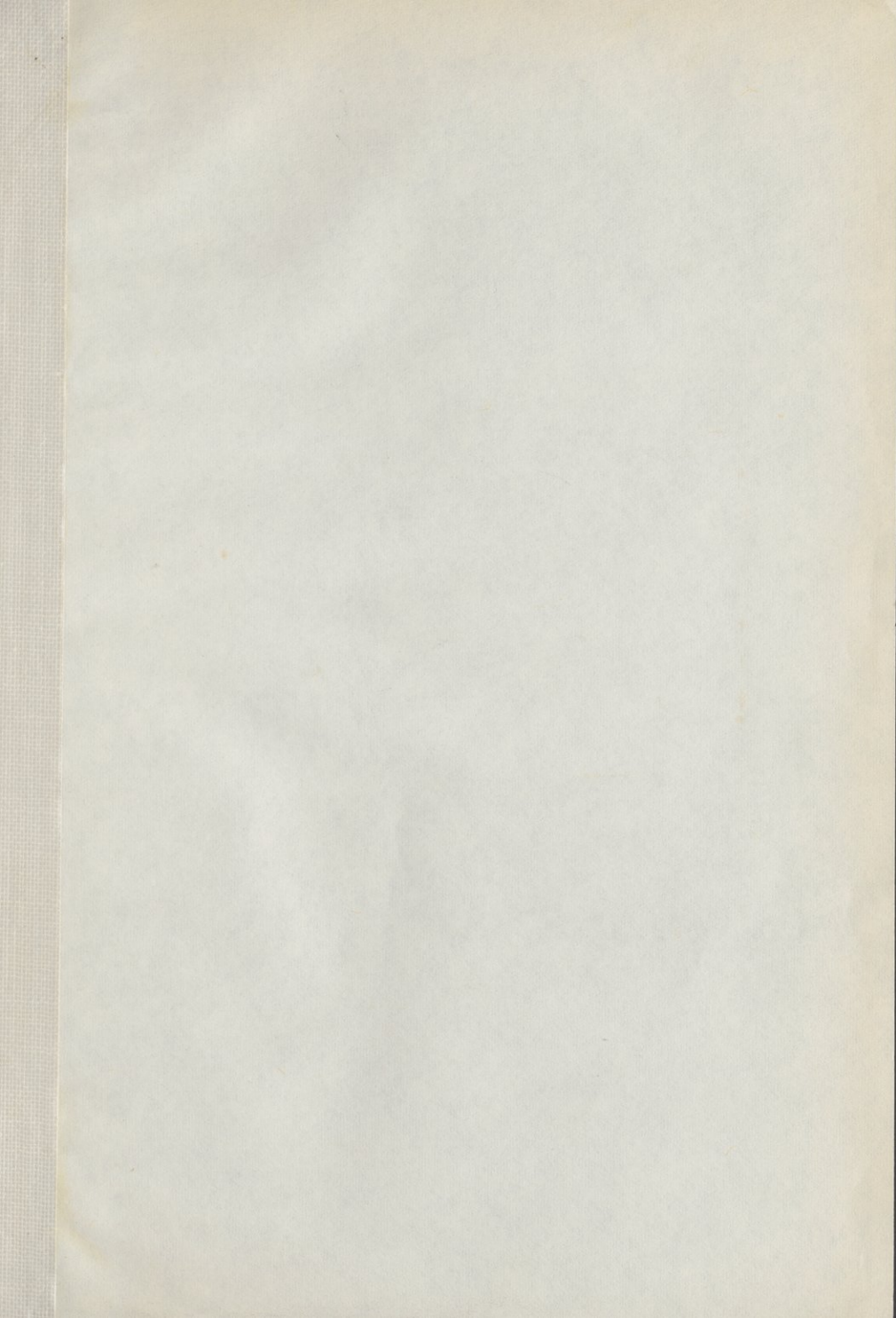
فهرس

٦٩ في سكون الليل	٣ الاهداء
٧٣ نجوم لبنان	٥ من آهات القصور
٧٦ مجدك خلقك	١٤ في دنيا الخيال
٨٣ وأخيراً .. خاب الأمل	١٩ أفضيلة أم رذيلة
٨٧ ليت القدر يعف حين يقسو	٢٣ من صور الحياة
٩٤ قلبي على طاولة التشريح	٣١ سلوا المعري
١٠٢ تري من هي . ؟	٣٤ صوت حواء
١٠٧ قلب ينفجر	٣٦ فتاة الانسانية
١١٨ عندليب الشرق	٤٣ وثبة الشباب الجبارة
١٢٠ الجارية الحسنة	٤٦ ذكي محروم . . وغبي متخوم
١٢٤ القدر	٤٠ وقفة على قبر المعري
١٣٠ من مآسي البشرية	٥٥ دمة على قبر المعري
١٣٥ من سره خلق صاعته أخلاق	٥٧ اليك أنت يا أستاذي .
١٤٦ قلبي وعقلي	٥٩ عقاب
١٥٣ أمي	٦٢ أيها القمر
١٥٩ وداعاً	٦٤ مناجاة

شركة فن الطبعة

لصاحبها سليم شهاب
شاه الأزهري ١ شهاب
مكتبة ٥٨١٤٩ صندوق بريد
٦٠٩٢٢





LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 081693457